لغة القرآن في وصف الجنَة في السور الثلاث (الرحمن والواقعة والإنسان)

د. أحلام فاضل عبود
كلية التربية الأساسية – جامعة بابل

المقدمة :-

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله أجمعين ، اللهمَ إنّي أحمدك حمداً أتوسّم فيه رضاك ، وأستعين به على ذكرك وألتمس به هداك .

أمّا بعد فإنّي مقبلة على كلام الله – جلّت عظمته – لأقف على أوصاف الجنّة في الذكر الحكيم ، لأتحرّى عظمة الله في هذه الأوصاف وسأتناولها بالدراسة والتحليل البياني واللغوي مستهدية بعلم هذه العربية الخالدة ، آمل أن أدرك ما أبتغيه في هذا المسعى المبارك المحمود ومنه – جلّ وعلا – التوفيق والسداد .

إنّ الصورة التي رسمها القرآن الكريم عن الجنّة والأوصاف التي وصفها بها وما فيها من ألوان النعيم ، وكيف ينعم المؤمنون الذين ارتضاهم الله فأنزلهم جنّته ، صورة جميلة يقرؤها العربي فتتشوّق نفسه إليها وتطمح للفوز بها ، فهي جنّة النعيم ، فيها أنهار جارية وعيون متفجرّة ، وحور عين ، وولدان مخلّدون ، وفاكهة من كلّ نوع مختلفة الألوان والأشكال ، وظلال وارفه وحياة رغيدة هانئة إلى غير ذلك من النعم .

فالجنّة هي دار الثواب والنعيم المقيم ، التي أعدّها الله للمؤمنين وفيها من النعيم كما قال رسول الله (ص) (ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)[1] ، وأقلّ الناس فيها درجة له أمثال ما في الدنيا والناس فيها درجات وفق أعمالهم.إنّ إدراك العربيّ لوصف الجنّة في القرآن وفهمه لها شيء ما كان يطمح أن ينال إلاّ القليل منه في بيئة تفتقر إلى الماء والأمن والراحة والطمأنينة ، إنّ هذه النعم هي ما يفتقر إليها العربي ولذلك فهو يحرص عليها ويتمنّاها ، وهي تحضر في أدبه إذا تحدّث عن المتعة واللذّة والخير العميم ، فعندما يقرأ القرآن ترتاح نفسه ويطمئن قلبه ، فالقرآن يحدّثه عن أشياء هي أسمى ما يرجوه ويأمله . لم يكتف علماء التفسير بالتفاصيل الكثيرة في وصف الجنّة في القرآن الكريم ، بل زادوا في تفاسيرهم شروحات كثيرة مما يرغّب الإنسان بقوة في الاجتهاد والسعي المتواصل ليكون من سكانها ويتلذّذ بخيراتها ، وهكذا ترخص الحياة الدنيا في عيون المؤمنين أمام الصورة الجذّابة والمغرية لدار النعيم . تناولنا وصف الجنان في ثلاث سور هي الرحمن والواقعة والإنسان لكونها أكثر السور تناولا لهذه الأوصاف ، فسورة الرحمن تتكون من ثمانٍ وسبعين آية ، فيها اثنتان وثلاثون آية في وصف الجنّة إضافة إلى فضلها فقد روي عن النبيّ (ص)أنّه قال : (لكلّ شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن) . أما سورة الواقعة فهي تتكون من ستٍ وتسعين آية ، فيها ثمانٍ وثلاثون آية في وصف الجنّة وفي فضلها قال رسول الله (ص) (من قرأ سورة الواقعة كُتب ليس من الغافلين) وقيل أيضاً (من قرأها لم ير في الدنيا بؤساً ولا فقراً ولا آفة) وقد ختم الله سبحانه سورة الرحمن بصفة الجنّة وافتتح سورة الواقعة بصفة القيامة والجنّة فاتصلت إحداهما بالأخرى اتصال النظير للنظير . أمّا سورة الإنسان فعدد آياتها إحدى وثلاثون آية وتسمى سورة الدهر أو سورة الأبرار ومنهم من يسميها بفاتحتها وقد ذكر وصف الجنّة فيها في ثماني عشرة آية ، وقد نقل عن النبيّ (ص) (من قرأ سورة (هل أتى) كان جزاؤه على الله جنَة وحريرا) وبعد فهذا عرض موجز لوصف الجنَة في القرآن قصدنا فيه أن نظهر علاقة لغة القرآن الرفيعة بالبيئة العربية ولقد تبيّن لنا أنّ اللغة الشريفة قد تأثّرت بالبيئة في وصف الجنّة ولا عجب فهو لسان عربي مبين يهدي للتي هي أقوم ، وقد نقل عن ابن عباس : (لا يشبه شيء مما في الجنَة ما في الدنيا إلّا في الأسماء)

تناولنا في هذا البحث أولا : معنى الجنّة في المعجمات والتفاسير ثم تعرضنا ثانيا الى دراسة أوصاف الجنة بالشكل الآتي :

١- درجات الجنّة ومنازلها .
٢- صفات أهل الجنّة .
٣- أشجار الجنة وثمارها .
٤- أنهار الجنّة وعيونها .
٥- بيوت الجنّة وفراشها .

---

(١) انظر الحديث في مسند أحمد بن حمبل مج ٣ ص٦٢٧ الحديث رقم (١٠٠١٨) ، وفي رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للامام النووي ص٥١٨ الحديث رقم (١٨٧٩) ورقم (١٨٨٩) , وفي عدة الداعي ونجاح الساعي لأحمد بن فهد الحلي ص١٣٥ .

٦- ملابس أهل الجنّة .
٧- طعام أهل الجنّة وشرابهم .
٨- نساء الجنّة (الحور العين) .
٩- ولدان الجنّة .
١٠-كلام أهل الجنة .
١١-جزاء أهل الجنّة .

أما الآيات التي ورد فيها وصف الجنة في السور الثلاث فهي في سورة الرحمن

۞وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ{٤٦} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٤٧} ذَوَاتَا أَفْنَانٍ{٤٨} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٤٩} فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ{٥٠} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٥١} فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ{٥٢} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٥٣} مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ{٥٤} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٥٥} فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ{٥٦} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٥٧} كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ{٥٨} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٥٩} هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ{٦٠} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٦١} وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ{٦٢} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٦٣} مُدْهَامَّتَانِ{٦٤} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٦٥} فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ{٦٦} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٦٧} فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ{٦٨} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٦٩} فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ{٧٠} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٧١} حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ{٧٢} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٧٣} لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ{٧٤} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٧٥} مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ{٧٦} فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ{٧٧} تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ{٧٨}

الآيات التي ورد فيها وصف الجنَة في سورة الواقعة

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ{١} لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ{٢} خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ{٣} إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً{٤} وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً{٥} فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً{٦} وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً{٧} فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ{٨} وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ{٩} وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ{١٠} أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ{١١} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ{١٢} ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ{١٣} وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ{١٤} عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ{١٥} مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ{١٦} يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ{١٧} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ{١٨} لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ{١٩} وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ{٢٠} وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ{٢١} وَحُورٌ عِينٌ{٢٢} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ{٢٣} جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ{٢٤} لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً{٢٥} إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً{٢٦} وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ{٢٧} فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ{٢٨} وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ{٢٩} وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ{٣٠} وَمَاء مَّسْكُوبٍ{٣١} وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ{٣٢} لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ{٣٣} وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ{٣٤} إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء{٣٥} فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً{٣٦} عُرُباً أَتْرَاباً{٣٧} لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ{٣٨} ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ{٣٩} وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ{٤٠} ۞أَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ{٨٨} فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ{٨٩} وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ{٩٠} فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ{٩١}

الآيات التي ورد فيها وصف الجنَة في سورة الإنسان

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً{٥} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً{٦} يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً{٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً{٨} إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً{٩} إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً{١٠} فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً{١١} وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً{١٢} مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً{١٣} وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً{١٤} وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا{١٥} قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً{١٦} وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً{١٧} عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً{١٨} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً{١٩} وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً{٢٠} عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً{٢١}إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً{٢٢}

بسم الله الرحمن الرحيم

معنى الجنّة :-

الجنّة بفتح الجيم[1] وتشديد النون عرفها الفراهيديّ (ت ١٧٥ هـ) : (والجنّة : الحديقة ، وهي بستان ذات شجر ونزهة وجمعه جنّات)[2] ، أمّا الراغب (ت ٥٠٢ هـ) فقد قال : (والجنّة كلّ بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض . قال عزّ وجلّ : (**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ**) و(**وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ**)[3] ، قيل وقد تسمى الأشجار الساترة جنّة .. وسميت الجنّة إمّا تشبيها بالجنّة في الأرض وإن كان بينهما بون ، وإمّا لستره نعمها عنّا المشار إليها بقوله تعالى : (**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا**)[4] [5] وقيل : (العرب تسمي النخيل (جَنّة)[6] ومثل ذلك قال الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) : (والجنة الحديقة ذات النخل والشجر ... لا تكون في كلامهم جنّة إلّا وفيها نخل وعنب فإن لم يكونا فيها وكانت ذات شجر فحديقة لا جنّة ... والجمع(جنان) ككتاب وجنّات ويقال أجنّة أيضاً ... وقال هو غريب)[7] . وردت كلمة (الجنّة) مفردة في القرآن الكريم في سبعين موضعاً وبصيغة المثنى في ثمانية مواضع وبصيغة جمع المؤنث السالم (جنات) في تسعة وستين موضعاً ، وقد بلغ عدد السور التي ورد فيها ذكر الجنة خمساً وستين سورة [8] ، أمّا لفظة النار التي تقابلها فلم ترد في القرآن إلاّ مفردة (وفي ذلك وجهان : أحدهما لما كانت الجنّات مختلفة الأنواع حسن جمعها وإفرادها ، ولما كانت النار مادة واحدة أفردت باعتبار الجنس ... الثاني : أنه لما كانت النار تعذيبا والجنّة رحمة ناسب جمع الرحمة وإفراد العذاب .... فالنار لكلّ مذنب و لكلّ مطيع جنّة فجمع الجنان ولم يجمع النار .)[9] . والجنّة وردت في القرآن بالتاء المربوطة إلا في موضع واحد وردت بالتاء الطويلة وهو في سورة الواقعة (**وجنّتُ نعيم**)[10] (لكونها بمعنى فعل التنعّم بالنعيم بدليل اقترانها بالروح والريحان وتأخرها عنهما وهما من الجنّة فهذه جنة خاصة بالمنعم بها [11] وأما ما جاء بالتاء المربوطة (فإن هذا بمعنى الاسم الكلّيَ).[1]

أوصاف الجنّة :-

أطنب الله جلّ وعلا في الآيات المذكورة في السور الثلاث في وصف جمال الجنّة ونعيمها بشكل حسّيّ خالص ومشوّق جدا ، ولم يكتف المفسّرون بما جاء في القرآن الكريم ، بل زادوا في تفاسيرهم شروحات مسهبة في وصف الجنّة ونعيمها

سوف نوضّح هذه الأوصاف التي مرّ ذكرها في المقدمة من خلال اللغة التي وصفت بها في القرآن الكريم إن شاء الله وبه نستعين .

١- درجات الجنّة ومنازلها :

قال ابن عباس (رض) : (إنّما قال جنّات بلفظ الجمع لكون الجنان سبعاً : جنّة الفردوس وعدْن وجنة النعيم [12] ودار الخلد وجنّة المأوى ودار السلام وعِلّيين)[13]، وذكر بعضهم أنّها ثمان[14] ، أمّا أبواب الجنّة فهي ثمانية [15]، (نقل الزركشي عن الكرماني قولهُ : جاءت آية واحدة في هذه السورة وهي آية (**فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**)[16]، كررّت نّيفا وثلاثين مرة ، لأن ست عشرة راجعة إلى الجنان ، لأن لها ثمانية أبواب وأربعة[17] عشر منها راجعة إلى النعم والنقم ..)[18] . ورد في سورة الرحمن ذكر جنتين[19] في قوله (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**)[20] قيل هما جنّة عدن وجنّة النعيم [21]، وقيل هما بستانان من بساتين الجنة إحداهما داخل القصر والأخرى خارج القصر كما يشتهي الإنسان في الدنيا ، وقيل إحدى الجنتين منزله والأخرى منزل أزواجه وخدمه ، وهناك من

---

[1]) ورد لفظ الجنة في اللغة بكسر الجسم ويعني الجنّ جمع جان والجنّة الملائكة والجنّة ايضا الجنون ، أما الجُنة فهو الدِرع والستر وكل ما وقاك فهو جُنتك (انظر كتاب العين ج٦ ص ٢٢ ، المثلث لابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) ج١ ص٤١٧ .

[2]) كتاب العين ج ٦ ص ٢٢ .

[3]) سبأ آية ١٥ ، ١٦ .

[4]) السجدة آية ١٧

[5]) المفردات ص ٩٨ .

[6]) مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦ هـ) باب الجيم مادة (جنن) .

[7]) تاج العروس مادة (جنن) باب النون فصل الجيم ، ومثله في المعجم الوسيط (مادة جنن ، باب الجيم .

[8]) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة (جنن) ص١٨٠-١٨٢ .

[9]) البرهان للزركشي (ت ٧٩٤ هـ)ج٤ ص١٤ .

[10]) الآية ٨٩ .

[11]) البرهان للزركشي ج١ ص٤١٥ .

[12]) وردت جنّة النعيم مرتين في سورة الواقعة مرة بلفظ الجمع (جنّات النعيم) أية (١٢) وأخرى بلفظ المفرد (وجنّت نعيم) أية (٨٩)

[13])المفردات للراغب الاصفهاني ص٩٨ .

[14]) انظر : دقائق الاخبار في ذكر الجنة والنار لعبد الرحيم بن أحمد القاضي ص٧٦ (ذكر دار الجلال أولها وأخرها دار القرار بدلا من علّيين .

[15]) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ج٤ ، ص٧٣ .

[16]) سورة الرحمن آية (١٣) وما بعدها

[17]) هكذا ورد في النص والأصح (أربع عشرة) لان المعدود (آية) مؤنث

[18]) البرهان ج٣ ، ص١٩ .

[19])هذه أول مرة تذكر فيها جنتان

[20]) آية (٤٦)

[21]) انظر مجمع البيان في تفسير القران للطبرسي (في القرن السادس) ج٩ ص٢٦٤ .

يقول جنة من ذهب وجنة من فضة [١] أما الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فيرى أنّ الخطاب موجه للثقلين فهما (جنّة للخائف الإنسيّ وجنة للخائف الجنَيّ ويجوز أن يقال : جنة لفعل الطاعات ، وجنّة لترك المعاصي لآن التكليف دائرة عليهما أو أن يقال : جنّة يثاب بها وأخرى تضم إليها على وجه التفضل)[٢] (و الأظهر أنهما ضمن الجنة الكبيرة المعروفة ولكن اختصاصهما هنا بالذكر قد يكون لمرتبتهما)[٣]، ثم تلاهما بجنتين أخريين في قوله تعالى(ومن دونهماجنتان)أمن الجنتين السابقتين جنتان أخريان أقرب إلى قصره ومجالسه ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى أخرى ، ومعنى دون هنا مكان قريب من الشيء[٤] . وقيل : إنّ المعنىأنّهما دون الجنتين الأوليين في الفضل فقد روي عن النبيّ (ص) أنَه قال : (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما)[٥]. والدليل على شرف الأوليين على الأخريين وجوه عدة منها تقديم الأوليين ، ثم الأوصاف التي ذكرها للأوليين أفضل من الأوصاف التي ذكرها للأخريين[٦] وسنحاول التفصيل في هذه الأوصاف لاحقا. ذكر في سورة الواقعة طبقتان من المؤمنين : السابقون وهم المقرّبون وهم[٧] الذين وصفهم الله جلّ وعلا في سورة الرحمن بالخائفين مقام ربهم ، فهؤلاء لهم الجنتان الأوليان ، فهم مقرّبون من كرامة الله في الجنة ، (وهم يقربون إلى رحمة الله في أعلى المراتب وإلى جزيل ثواب الله في أعظم الكرامة ثم أخبر تعالى أين محلهم فقال : **(فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)**[٨] لئلا يتوهم متوهم أن التقريب يخرجهم إلى دار أخرى فأعلم سبحانه أنهم مقربون من كرامة الله في الجنة وأنّ الجنة درجات ومنازل بعضها أرفع من بعض)[٩]. أمّا الطبقة الثانية فهم أصحاب اليمين أو أصحاب الميمنة[١٠] فهؤلاء لهم الجنتان الأخريان (**ومن دونهما جنتان**) وهم المؤمنون العابدون لله سبحانه خوفا من النار وطمعا في الجنة[١١] . وقد قيل (جنتان من ذهب للمقَربين قيل وجنتان من فضة لأصحاب اليمين وقيل الأوليان للسابقين والأخريان للتابعين)[١٢] وقيل إنّ عين سلسبيل المذكورة في سورة الإنسان[١٣] تنبع من أصل العرش من جنة عدن وتسيل على أهل الجنان في الطرق وفي منازلهم[١٤] ، وقد وردت في القرآن إشارات إلى هذه الدرجات في الجنة وتعدد منازلها كقوله تعالى **(انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ)**[١٥] وقوله **(وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ..)**[١٦] .

٢ـ صفات أهل الجنّة :

يتغير أهل الجنة إلى حال لا مثيل له في الحياة الدنيا ، فالإنسان مهما كان جمال طلعته في الأرض ، إلاّ انّه يبقى ناقصا وعرضة للجوع والعطش والتعب والإرهاق والمرض ، وتتقدّم به الأيام ويذوي جماله وتبطل شهوته وتتغضن بشرته ويتساقط شعره ويضعف بصره وتنتهي حياته بالموت .

إنّ أهل الجنّة الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في السور الثلاث بأبهى الصفات هم صنفان : السابقون المقرّبون في قوله **(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)**[١٧] **(فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ)**[١٨] فهم (الذين قربت درجاتهم في الجنة وأعليت مراتبهم)[١٩] وقيل هم (السابقون إلى اتباع الأنبياء الذين صاروا أئمة الهدى فهم السابقون إلى جزيل الثواب عند الله وقيل السابقون إلى طاعة الله والسابقون إلى رحمته والسابق إلى الخير إنما كان أفضل لأنه يقتدى به في الخير ... وقيل السابقون إلى الصلوات الخمس .. وقيل إلى كلّ ما دعا الله إليه وهذا أولى لأنه يعمّ الجميع)[٢٠] ، أما الصنف الثاني فهم أصحاب اليمين أو أصحاب الميمنة في قوله **(فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)**[٢١] **(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ)**[٢٢] وقوله (**وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلاَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ)**[٢٣] فهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم .. أو أصحاب المنزلة السنية وقيل اشتقوا لليمين الاسم

---

[١] انظر : معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ) ج٣ ص١١٨ ، تفسير التبيان للطوسي (ت ٤٦٠ هـ) مج ٩ ص٤٧٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٦ -١٩٩ ، الميزان للطباطبائي ج١٩ ص١١٣ .

[٢] الكشاف ج٤ ص٤٨ .

[٣] في ظلال القرآن لسيد قطب مج ٧ ص٦٨٨ .

[٤] انظر تفسير التبيان مج ٩ ص ٤٨٠ ، ومجمع البيان ج٩ ص٢٦٧ .

[٥] مسند الإمام احمد بن حنبل (ت ٢٤١ ه) مج ٦ ص ٦٣٥ (الحديث رقم ١٩٩١٨) , مجمع البيان ج٩ ص٢٦٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٩ .

[٦] انظر : الكشاف ج٤ ص٥٠ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٩٧ -٣٠١ ، في ظلال القرآن مج ٧ ص٦٨٩ ، الميزان ج١٩ ص١١٤-١١٥ ، التعبير القرآني لفاضل السامرائي ص١٩٢-١٩٣ .

[٧] الآية ١٠ ، ١١ .

[٨] الواقعة آلاية ١٢ .

[٩] تفسير التبيان مج ٩ ص٤٨٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٣ .

[١٠] الواقعة آية ٨ ، ٢٧ .

[١١] انظر مجمع البيان ج٩ ص٣٧٣ ، الميزان ج١٩ ص١١٥ .

[١٢] مجمع البيان ج٩ ص٢٦٨ .

[١٣] آية ١٨ .

[١٤] انظر مجمع البيان ج٩ ص٥٢٣ .

[١٥] الإسراء آية ٢١ .

[١٦] طه آية ٧٥ ، ٧٦ .

[١٧] الواقعة آية ١٠ و ١١ .

[١٨] الواقعة آية ٨٨ .

[١٩] الكشاف ج٤ ص٥٢ .

[٢٠] تفسير التبيان مج ٩ ص٤٨٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٣ .

[٢١] الواقعة آية ٨ .

[٢٢] الواقعة آية ٢٧ .

[٢٣] الواقعة آية ٩٠ ، ٩١

من اليمن ، وقيل يؤخذ بأهل الجنّة ذات اليمين وقيل لأصحاب اليمن والبركة والثواب[١],وللمفسرين آراء أخرى فيهما[٢]. إن هذين الصنفين هم أصحاب الجنتين الأوليين والأخريين في سورة الرحمن[٣] وقد وصفهم الله سبحانه بالخائفين في قوله : (**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ** ...)[٤] أي يخافون مقام ربهم يوم الحساب للمساءلة عمّا عملوا فيما يجب عليهم مما أمرهم به أو نهاهم عنه من تأدية الفرائض واجتناب المعاصي[٥]، وعن ابن عبّاس(رض) (وعد الله المؤمنين الذين أدّوا فرائضه الجنّة)[٦]، وقد تكرر هذا الوصف في سورة الإنسان بقوله (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرا**)[٧] وقوله (**إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرا**)[٨] ، وقد وصف الله عزّ وجلّ أهل الجنة في سورة الإنسان بلفظة (الأبرار) بقوله (**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**)[٩] فهنا يرسم سبحانه صورة المؤمنين بعبارات كلها عطف ورقة وجمال وخشوع يناسب نعيم الجنة الهانئ الرغيد ، فالأبرار جمع واحده برّ بفتح الباء صفة مشبهة من البِرّ وهو الإحسان وهو على وزن فَعِل مثل حذر واناً بارّ وسمّوا أبراراً لأنهم برّوا الله جلّ وعزّ بطاعته في أداء فرائضه واجتناب محارمه ، وقيل هم الذين لا يؤذون الذرّ ولا يرضون الشرّ وقيل هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة[١٠] واصل كلمة (برَّ) الاتّساع واطلق البَر على الصحراء لاتساع مساحتها وتطلق هذه المفردة على الصالحين الذين تكون نتائج اعمالهم واسعة في المجتمع [١١]. ويسميهم الله جلّ وعلا في السورة نفسها (عباد الله) يقوله (**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**)[١٢] إيناساً وتكريما وإعلانا للفضل تارة وللقرب من الله تارة في معرض النعيم والتكريم ، وإن وصفهم بـ (عباد الله) أعلى مرتبة من الوصف السابق (الأبرار) فقد استعمل القرآن كلمة (العبد) بمعنيين ، الأولى : العبودية القسرية وهي التي يشترك فيها كلّ الخلق كافرهم ومؤمنهم وذلك نحو قوله تعالى (**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً**)[١٣] وهذه العبودية ليس فيها فضل لأحد على أحد أما المعنى الثاني فهو العبودية الاختيارية ، وهي أن يجعل الشخص نفسه عبدا خالصا لله موطنا نفسه على عبادته متحريا مرضاته ... ويتفاضل الناس بمقدار هذه العبودية ، فكلما كان الشخص أكمل في عبوديته هذه وأتمّ كان أقرب إلى سيده وتطلق هذه الصفة على أعلى الخلق وهم الأنبياء كقوله تعالى (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**)[١٤]وقال : (**ذرية من حملنا مع نوح إنّه كان عبداً شكورا**)[١٥] [١٦] وقد وصفهم بأنّهم (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ**)[١٧] أي يصفهم بالوفاء في أداء الواجبات (لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى) [١٨] و (هذه من صفاتهم في الدنيا ، كأن فيها إضمار كان : كانوا يوفون بالنذر)[١٩] والإيفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه فإذا نذر طاعة تممها ووفى بها[٢٠] ووصفهم أيضا بأنهم (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً**)[٢١] وقد أشرنا إلى هذه الصفة سابقا فهم يدركون صفة هذا اليوم الذي يتفشى شره ويصيب الكثيرين من المقصرين فيخافون أن ينالهم شيء من شره وهذه سمة الأتقياء الشاعرين بثقل الواجب وضخامة التكاليف فهم خائفون من التقصير مهما قدموا من القرب والطاعات وقد أوصاهم رسول الله (ص) بقوله :(اتّقِ النار ولو بشق تمرة)[٢٢] جملة (يوفون) و (يخافون) والجمل التي تليها جاءت بصيغة الفعل المضارع وهذا يشير الى استمرارية وديمومة منهجهم)[٢٣] .

---

[١] انظر تفسير التبيان مج ٩ ص٤٨٧ ، الكشاف ج٤ ص٥٢ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٣ ، البرهان ج٣ ص١٧

[٢] انظر : تفسير التبيان مج ٩ ص٤٨٧-٤٩٣ ، الكشاف ج٤ ص٥٢-٥٥ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٣-٢٨٩ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٣٠٣-٣٠٩ ، في ظلال القرآن ج ٧ ص٦٩٤-٦٩٧ ، الميزان ج١٩ ص١٢١-١٢٩ .

[٣] آية ٤٦ وآية ٦٢ .

[٤] الرحمن ٤٦ .

[٥] انظر : إعراب القرآن لابن النحاس (ت ٣٢٨ هـ)ج٤ ص٢١١ ، تفسير التبيان ج٩ ص٤٧٧ ، الكشاف ج٤ ص٤٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ .

[٦] أعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١١ .

[٧] الآية ٧ .

[٨] الآية ١٠ .

[٩] الآية ٥ .

[١٠] إعراب القرآن لابن النحاس ، مج ٥ ص٦٣ ، تفسير التبيان مج ١٠ ص٢٠٨ ، الكشاف ج٤ ص١٩٥-١٩٧ . مجمع البيان ج٩ ص٥١١ ،٥١٧ ، في ظلال القرآن مج ٨ ص٣٩٢ ، الميزان ج٢٠ ص١٣٦ .

[١١] الامثل في تفسير كتاب الله المنزل لناصر مكارم الشيرازي ج١٤ ص٦٢١ .

[١٢] الآية ٦ .

[١٣] مريم آية ٩٣، ٩٤ .

[١٤] الإسراء آية ١ .

[١٥] الإسراء آية ٣ . .

[١٦] انظر : التعبير القرآني ، فاضل السامرائي ص١٩٠ .

[١٧] الإنسان آية ٧ .

[١٨] الكشاف ج٤ ص١٩٦ .

[١٩] معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢١٦ .

[٢٠] انظر : مجمع التبيان ج٩ ص٥١٨ .

[٢١] الإنسان آية ٧ .

[٢٢] مسند الامام احمد ابن حنبل مج ٦ ص٢٤٩ (الحديث رقم ١٨٤٦ و رقم ١٨٤٦٣ ، في ظلال القرآن مج ٨ ص٣٩٨ .

[٢٣] الامثل ج١٤ ص ٦٢٣ .

وقد وصفهم سبحانه بالأثرة على أنفسهم بقوله (**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**[1] ، فهم المطعمون الطعام للمسكين واليتيم والأسير على الرغم من حبهم له وحاجتهم إليه وشهوتهم لـه الضـمير فـي (علـى حبه) يعود إلى الطعام أي أنهم أعطوا الطعام مع احتياجهم أليه وهذا سبيه بقوله تعالى (لن **تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**) [2]. وقيل الهاء كناية عن الله تعـالى أي يطعمـون الطعـام علـى حـب الله[3] فهـؤلاء الأبـرار يطعمـون الطعام بأريحية نفس ورحمة قلب وخلوص نية واتجاه إلى الله بالعمل وذلك واضح من كلامهم (**إِنَّمَـا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْـهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً**)[4] .

هؤلاء المؤمنون وجوههم نضرة مستبشرة وهم فرحون بما آتاهم الله (**ولقّاهم نضـرة وسـرورا**)[5] وجـزاء صبرهم في الدنيا نالوا الجنة (**وجزاهم بما صبروا جنّة وحريرا**)[6] هؤلاء الأبرار والسابقون المقرّبون وأصـحاب اليمين الذين ذكروا في السور الثلاث وصفهم الله جلّ وعلا بكونهم (متكئين) أي جالسين جلسة الملوك ، فأصـحاب الجنتين الأوليين نراهم (**مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ**)[7] ونرى أصحاب الجنتين الآخريين (**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**)[8] والسـابقون المقرّبـون (**عَلَـى سُرُرٍ مَّوْضُـونَةٍ مُتَّكِئِـينَ عَلَيْهَـا مُتَقَـابِلِينَ**.)[9] والأبرار نراهم في الجنة (**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً**)[10] .

(والاتكاء شدة التقوية للإكرام والإمتاع)[11] فهم في جلسة مريحة مطمئنة والجو حولهم رخاء ناعم دافيء في غير حر ، ندي في غير برد ، أي هم في راحة وخلو بال من الهموم والمشاغل وفي طمأنينة على ما هم فيـه مـن نعـيم لا خوف من فوته ولا نفاده وفي إقبال بعضهم على بعض يتسامرون [12].

٣- أشجار الجنَة وثمارها :

قلنا سابقا في تعريف الجنَة إنَها (الحديقة وهي بستان ذات شجر ونزهـة)[13] . إنَ الجنَـة بجمالهـا وبجمـال أشجارها وبأفياء أغصانها وظلالها وما فيها من ألوان الفاكهة الطريَة الناضجة وبخضرة أرضها ، تبعث في الـنفس السرور والبهجة والراحة والطمأنينة لذلك فلندخل جنتي المقرَبين الخـائفين[14] مقـام ربهـم ولـنعشْ فيهمـا لحظـات ... فهما (**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**)[15] والأفنان جمع فنن وهو الغصن الغض الورق ويقال ذلك للنوع من الشيء وجمعه فنون[16]أي فهما ذواتا أغصان نضرة حسنة تحمل من كل فاكهة ثمرة ناضجة وقد خص الأفنـان بالـذكر لأنهـا هـي التـي تـورق وتثمر ومنها تمتد الظلال ومنها تجني الثمار وقيل الأفنان ألوان النعم وما تشتهي الأنفس وتلذَ الأعين ـ أي هما ذواتا ألوان من النعيم والفواكه المختلفة[17]. وقيل ذواتا أشجار لأن الأغصان لا تكون إلا في الشجر فدل بكثـرة أغصـانها على كثرة أشجارها وبكثرة أشجارها على تمام حالها وكثرة ثمارها لأن البستان إنما يكمل بكثرة الأشجار والأشجار لا تحسن إلا بكثرة الأغصان[18].

و (**فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ**)[19] أي الجنتان ريانتان نضرتان وفاكهتهما متنوعة كثيرة ، أي فيهما من كلّ نوع من الفاكهة صنفان متشاكلان كتشاكل الذكر والانثى وذلـك بالرطـب واليـابس مـن العنـب والزبيـب والتـين الرطـب واليابس وكل نوع منهما يتميز بذوق وطعم آخر وقيل صنف معروف وآخر غريب[20] . وقيل (ما فـي الـدنيا ثمـرة حلوة ولا مرة إلاّ وهي فـي الجنـة حتـى الحنظـل) وقـال ابـن عبـاس (رض) (لـيس فـي الـدنيا ممـا فـي الآخـرة إلا الأسماء) يعني أن بين ذلك بونا عظيما وفرقا بيَنـا فـي التفاضـل)[21] وهـذه الفاكهـة قريبـة التنـاول سـهلة القطـاف (**وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ**)[22] (والجنيُ المجتني) من الثمر والعسل وأكثر مـا يسـتعمل فيمـا كـان غضـا)[23] و (دانٍ)

---

[1] الإنسان أية ٨ ، قيل أن هذه الآيات نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فإنهم آثروا المسكين واليتيم والأسير ثلاث ليال على إفطارهم وطووا ولم يفطروا على شيء من الطعام فأثنى الله عليهم هذا الثناء الحسن وانزل فيهم هذه السورة (انظر القصة كاملة في تفسير التبيان ج١٠ ص٢١١ ، الكشاف ج٤ ص١٩٧ ، مجمع البيـان ج٩ ص٥١٧ ، الميـزان ج٢٠ ص١٤٥ ، إعـراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش مج ٨ ص١٦٥ .

[2]) آل عمران آية ٩٢ وانظر الامثل ج١٤ ص٦٢٣ .

[3]) تفسير التبيان ج١٠ ص٢١٠ ، الكشاف ج٤ ص١٩٦ ، مجمع البيان ج٩ ص٥١٨ ، الامثل ج١٤ ص٦٢٥

[4]) الإنسان آية ٩ .

[5]) الإنسان آية ١١ .

[6]) الإنسان آية ١٢ .

[7]) الرحمن آية ٥٤ .

[8]) الرحمن آية ٧٦ .

[9]) الواقعة آية ١٥ ، ١٦ .

[10]) الإنسان آية ١٣ .

[11]) تفسير التبيان مج ٩ ص٤٧٨ .

[12]) انظر في ظلال القرآن مج ٧ ص٦٩٦ .

[13]) كتاب العين ج٦ ص٢٢ .

[14]) الرحمن آية ٤٦ (ولمن خاف .....)

[15]) الرحمن آية ٤٨ .

[16]) انظر معاني القرآن للأخفش (ت ٢١٥ هـ) ص٢٩٠ ، المفردات للراغب ص ٣٨٦ .

[17]) انظر : إعراب القرآن لابن النحاس مج ٤ ص٢١١ ، تفسير التبيان مج ٩ ص٤٧٧ ، الكشاف ج٤ ص٤٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٧ ، الميزان ج١٩ ص١١٣ ، التفسير المعين لمحمد هويدي ص٥٣٣ .

[18]) مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ .

[19]) الرحمن آية ٥٢ .

[20]) إعراب القرآن لابن النحاس مج ٤ ص٢١١ ، تفسير التبيان مج ٩ ص ٤٧٧-٤٧٨ ، الكشاف ج٤ ص٤٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ ، الميزان ج١٩ ص١١٤ ، في ظلال القرآن مج ٧ ص٦٨٨ .

[21]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٧ .

[22]) الرحمن آية ٥٤ .

[23]) المفردات ص١٠١ .

اسم فاعل من الدنو بمعنى القرب[١] وبين الجنى والجنة جناس [٢] ، أي أنَ ثمار الجنة التي أدركت وصلح أن تجنى غضة دانية لا يرد يد المؤمن عنها بعد ولا شوك وقيل إنَ الشجرة تدنو حتى يجنيها وليُّ الله إن شاء قائما أو قاعدا وقيل إن الثمار دانية إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين[٣] . هذه أوصاف جنتي المقرَبين أما جنتا أصحاب اليمين التي يبدو أنَهما أقل مستوى[٤] من الأوليين كما أشرنا سابقا فأنهما (**مُدْهَامَّتَانِ**)[٥] أي مخضرّتان خضرة تميل إلى السواد لما فيهما من أعشاب ، فيراهما الناظر سوداوين لكثافة الاشجار وتشابك الاغصان وشدة الخضرة[٦] والدّهمة .. يعّبرُ بها عن الخضرة الكاملة اللون أو غير الكاملة وذلك لتقاربهما باللون[٧] . وبناؤهما من الفعل ادهمّ او ادهامّ مثل ازورّ وازوارّ على وزن مفعال[٨] ، وقد أحبَ العرب الربيع وسمّوا به أسماءهم وصار اللون الأخضر أحبَ الألوان اليهم لأنه لون العشب النضر الذي يبعث في نفوسهم الأمل والحياة واذا ارادوا أن يصفوا بعضهم بالنعمة وصفوه بالخضرة ولذلك جاء وصف الجنة بالخضرة[٩] بقوله (**مُدْهَامَّتَانِ**) وهذه الآية تمثل بديع الإيجاز فهذه لفظة واحدة تمثل آية في القرآن[١٠] . هاتان الجنتان (**فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**)[١١] وقد ذكر جلَ جلاله الفاكهة وأفرد ذكر النخل والرمّان تنبيها على فضلهما وجلالة النعمة بهما وقيل أعيد ذكرهما ترغيبا لأهل الجنة وإشادة بذكرهما لفضلهما[١٢] وقيل : العرب تعيد الشيء بواو العطف اتساعا لا لتفضيل والقرآن نزل بلغتهم[١٣] ، وقيل إن النخل والرمّان ليسا من الفاكهة فالنخل فاكهة وطعام والرمّان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه[١٤]. هذه أوصاف الجنتين فإن قيل : كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين (الأخريين) عن الأوليين ؟ حتى قيل (ومن دونهما) ، الجواب : (مدها مّتان) دون (ذواتا أفنان) و (فاكهة) دون (كلّ فاكهة)[١٥] . في سورة الواقعة وجدنا السعداء المقرَبين لا شيء ممنوع عليهم فلهم ما يشتهون وما يتخيَرون من ألوان الفواكه قال تعالى (**وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ**)[١٦] أي مما يتخيَرونها وقد حذفت الهاء لطول الكلمة[١٧] أي يطاف عليهم بفاكهة مما يختارونه ومما يشتهونه وقيل إنهم إذا اشتهوا فاكهة تدلَى إليهم غصن شجرتها بما لها من ثمرة فيتناولونها[١٨] .

أما أصحاب اليمين فلهم نعيم مادي محسوس يبدو في أوصافه شيء من خشونة البداوة ويلبي هواتف أهل البداوة حسبما تبلغ مداركهم وتجاربهم في تصوَر ألوان النعيم[١٩] فهم (**فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ**) (**وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ**) (**وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ**)[٢٠] ، فالسدر شجر النبق الشائك لكنه في الجنة مخضود شوكه ومنزوع ، أي لا شوك فيه أما الطلح فهو شجر الموز ، فقنوا الموز منضود بعضه على بعض ، وقيل شجر له نوار طيَب الرائحة وقيل شجر يشبه طلح الدنيا تعرفه العرب كثير الشوك واحدته طلحة ويجوز أن يكون في الجنة قد ازيل شوكه وعن علي (ع) أنه قرأ (وطلع) وقرأ قوله تعالى (**لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ**)[٢١] ، وقيل إن أهل الجنة يستظلون بأشجار السدر المنزوع الشوك وكذلك بالطلح[٢٢] ، وقد وصف سبحانه هذا الظل بقوله (**وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ**) أي ظل دائم لا تنسخه الشمس وروي عن رسول الله (ص) (أنَ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة سنة لا يقطعها)[٢٣] ، وقيل هذا الظل ممدود (لا شمس فيه كظل ما بين طلوع الفجر إلى أن تطلع الشمس)[٢٤] أما فاكهة أهل اليمين فوصفت بـ (**وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا**

---

[١] انظر الميزان ج١٩ ص١١٤ .
[٢] انظر البرهان ج٣ ص٤٥٢-٤٥٣ .
[٣] انظر : تفسير التبيان مج ٩ ص٤٧٨ ، الكشاف ج٤ ص٤٨-٥٠ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٩٨ ، تفسير الجلالين ص٤٢٦ ، في ظلال القرآن مج ٧ ص٦٨٨ . الميزان ج١٩ ص ١١٤ ، التفسير المعين ص٥٣٣ .
[٤] الرحمن آية ٦٢ (ومن دونهما ....) .
[٥] الرحمن آية ٦٤ .
[٦] انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ص١١٩ ، تفسير التبيان مج ٩ ص٤٨٠-٧٨١ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٧-٢٦٨ ، تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٩٩ ، البرهان ج٣ ص٢٢٦ ، في ظلال القرآن ٦٨٩ . .
[٧] انظر : المفردات ص١٧٣ .
[٨] انظر : معاني القرآن .
[٩] انظر / من وحي القرآن لابراهيم السامرائي ص١٦١-١٦٣ .
[١٠] انظر البرهان ج١ ص٢٦٨ .
[١١] الرحمن آية ٦٨ .
[١٢] انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ص١١٩ ، اعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٢ .
[١٣] انظر أمثلة على ذلك في : معاني القرآن للفراء ج٣ ص١١٩ ، إعراب القرآن لابن النحاس مج ٤ ص٢١٢ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٨٢ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٨، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٠٠ .
[١٤] انظر المفردات ص٣٨٤ ، الكشاف ج٤ ص٤٩ .
[١٥] انظر : الكشاف ج٤ ص٥٠ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٩٩ ، في ظلال القرآن مج ٧ ص٦٨٩ .
[١٦] الواقعة أية ٢٠ .
[١٧] انظر إعراب القرآن لابن النحاس مج ٤ ص٢١٨ .
[١٨] انظر : تفسير التبيان مج ٩ ص٤٩١ ، الميزان ج١٩ ص١٢٧ .
[١٩] في ظلال القرآن مج ٧ ص٦٩٦ .
[٢٠] الواقعة آية ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .
[٢١] ق آية ١٠ .
[٢٢] انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٢٤ ، اعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢٢١ ، تفسير التبيان مج ٩ ص٤٩٣-٤٩٤ ، المفردات للراغب من ٢٢٨ ، ٣٠٦ ، الكشاف ج٤ ص٥٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٧ .
[٢٣] مسند احمد ابن حنبل مج ٣ ص ٥٥١ ، ٥٨٧ ، ٥٩٦ ، الحديث رقم ٩٦٨٤ و ٩٨٣١ و ٩٨٧٠ ومواضع أخرى، تفسير التبيان مج٩ ص٤٩٣ ، مجمع البيان مج ٩ ص٢٧٧ ، رياض الصالحين ص ٥٢٠ ، الحديث رقم ١٨٨٤ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٣٠٩-٣١١ ، البرهان ج٢ ص١٣٠ ، دقائق الأخبار ص٧٩ .
[٢٤] انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ، ص١٢٥ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٩٤ ، الكشاف ج٤ ص٥٣ .

مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ)[1] فقد تركها مجملة بغير تفصيل بعد ما ذكر الأنواع المعروفة لسكان البادية بالتعيين ، فهي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا ولا تمتنع عن متناولها و لا يخطر عليها كما يخطر على بساتين الدنيا بتعذر تناول أو شوك يؤذي[2] . في سورة الانسان نرى صورة الجنَة مرسومة بظلالها وأشجارها وثمارها في قوله تعالى (**لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً**)[3] فقد شوَق الله تعالى إلى تلك الحال وهي غاية الرفاهية والإمتاع ، فالجو حولهم رخاء ناعم دافيء في غير حر ، نديَ في غير برد ، فالمؤمنون لا يرون شمساً يتأذون بحرها ولا زمهريرا (وهو أشد ما يكون من البرد) يتأذون ببرده وإن أفياء أشجار الجنة قريبة منهم ، أما وصف الثمار ففي سورة الرحمن وردت كلمة (جنى) وفي سورة الانسان استعملت كلمة (قطوف) وكلاهما تعني الثمار الناضجة ، أي أن ثمارها قريبة من متناول المؤمن ، إن قام ارتفعت بقدرة الله وإن قعد نزلت وإن اضطجع قربت منه حتى ينالها أي لا يرد يده عنها بعد ولا شوك إن قوله سبحانه **(وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ)** [4] مساوق لقوله تعالى **(وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا)**[5] أي ان ثمار الجنتين قريبة من طالبيها ، يتناولها المؤمن من غير جهد ولا عناء . فإذا دنت الظلال ودنت القطوف فهي الراحة والاسترواح على أمتع ما يمتد إليه الخيال فهذه هي الهيئة العامة لهذه الجنة التي جزى الله بها عباده الأبرار[6] .

٤- أنهار الجنَة وعيونها

وردت عبارة (**جنات تجري من تحتها الأنهار**) في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة [7]، أما أسماء هذه الأنهار وأنواعها لم يذكر منها إلا أربعة أنواع في سورة محمد[8] ولا يقتصر الأمر على الأنهار ، فقد أردفت هذه بالعيون في آيات عديدة ، ففي سورة الرحمن ذكر الله سبحانه في وصف الجنتين الأوليين **(فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ)**[9] (أي في خلالهما نهران يجريان)[10] وقيل عينان تجريان بين أشجارها بالماء الزلال من جبل مسك ، إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل[11] وقيل وصفت بالعين لصفائها أو بأنها جارية لأنه أمتع لها[12] ومن عين الماء اشتق ماء معين أي ظاهر للعيون[13].

أما الجنتان الأخريان (**فيهما عينان نضَّاختان**)[14] أي فوَارتان بالماء وقيل بكل خير أي تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور وبكل أنواع الخيرات ، والنضخ بالخاء أكثر من النضح بالحاء لآن النضح غير المعجمة الرش وبالخاء كالبزل والنضاخة الفوّارة التي ترمي بالماء صعدا وفي نضَاخة صيغة مبالغة ووجه الحكمة في العين النضَاخة أن النفس اذا رأت الماء يفور كان أمتع[15] ، وقيل المعروف في اللغة إن النضخ بالماء[16] .

إنَ وصف هاتين الجنتين بهذا الوصف دون الجنتين السابقتين أي نضَاحتان دون الجريان[17] في سورة الواقعة عند وصف نعيم أهل اليمين قال تعالى : (**وماء مسكوب**)[18] (أي جارٍ غير منقطع)[19] (لا يتعب في استقائه)[20] أي مصبوب يجري الليل والنهار ولا ينقطع عنهم وهو يجري في غير أخدود ويسكب لهم أين شاءوا وكيف شاءوا لا يتعبون فيه ويشرب على ما يرى من حسنه وصفائه[21].

وفي سورة الانسان قال تعالى **(إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**)[22] (يقال إنها عين تسمى الكافور وقد تكون كان مزاجها كالكافور لطيب ريحه فلا تكون حينئذ اسما)[23] والكافور نبت طيَب وكأن اشتقاقه من الكفر وهو الستر لأنه يغطي الأشياء برائحته ، والكافور أيضا كمام الشجر التي تغطي ثمرتها[24] وقوله **(كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً)** أي ما تمزج به وكافور كما ذكرنا اسم عين ماء ويدل عليه قوله (عينا) وهي كالمفسرة للكافور وقيل يمازجه ريح الكافور وليس ككافور الدنيا ، وإن هذا الشراب من

---

[1]) الواقعة آية ٣٢، ٣٣ .
[2]) انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٢٥ ، إعراب القرآن لابن النحاس مج ٤ ص٢٢١ . تفسير التبيان مج ٩ ص٤٩٤ ، الكشاف ج٤ ص٥٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٧ ، تفسير ابن كثير ج٤ ص٣١١ ، الميزان ج١٩ ص١٢٨ ، في ظلال القرآن مج ٧ ص٦٩٧ .
[3]) آية ١٣ ، ١٤ .
[4]) آية ٥٤
[5]) آية ١٤ .
[6]) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢١٧ ، تفسير التبيان ج١٠ ص٢١٣-٢١٤ الكشاف ج٤ ص١٩٨ ، في ظلال القرآن مج ٨ ص٣٩٨ .
[7]) انظر معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (نهر) ص٧١٩-٧٢٠ .
[8]) آية ١٥ ، انظر تفسيرها في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص١٨٩-١٩٠ .
[9]) آية ٥٠ .
[10]) إعراب القرآن لابن النحاس مج ٤ ص٢١١ .
[11]) انظر : تفسير التبيان مج ٩ ص٤٧٧ ، الكشاف ج٤ ص٤٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٩٧ .
[12]) تفسير التبيان مج ٩ ص٤٧٧ .
[13]) المفردات ص٣٥٥ .
[14]) آية ٦٦ .
[15]) انظر تفسير التبيان مج ٩ ص٤٨١-٤٨٢ ، الكشاف ج٤ ص٤٨-٤٩ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٧-٢٦٨ .
[16]) انظر اعراب القرآن لابن النحاس مج ٤ ص٢١٢ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٠٠ .
[17]) انظر : الكشاف ج٤ ص٥٠ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٠٠ ، في ظلال القرآن مج ٧ ص٦٨٩ .
[18]) آية ٣١
[19]) معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٢٥ .
[20]) إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢٢١ .
[21]) انظر : تفسير التبيان ج٩ ص٤٩٤ ، المفردات ص٢٣٦ ، الكشاف ج٤ ص٥٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٨ ، الميزان ج١٩ ص١٢٨ .
[22]) آية ٥ ، ٦ .
[23]) معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢١٥ .
[24]) انظر : المفردات ص٤٣٥-٤٣٦ ، اعراب القرآن الكريم وبيانه محي الدين الدرويش مج ٨ ص١٥٩ ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١٤ ص٦٢٢ .

عين يشرب بها أولياء الله وخصهم بأنهم عباد الله تشريفا وتبجيلا ، وقد ذكر النحاة عدة وجوه لاعراب كلمة (عينا)[1] وقال الفراء يشربها ويشرب بها سواء في المعنى وكأن يشرب بها : يروى بها وينقع وأما يشربونها فبيّن ومثله إنه ليتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا[2] وقال تعالى (**يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ**) بـ (من) وقال بعدها (عينا يشرب بها بالباء وقد ذهب قسم من النحاة إلى ان الباء ههنا تفيد التبعيض بمعنى (من) أي يشربون منها وقيل : بل ضمن شرب معنى (روي)[3] أي يرتوي بها وهو أولى وإلى ذلك أشار الفراء ومنها معنى آخر وذلك أن قوله (**يَشْرَبُ بِهَا**) يدل على أنهم نازلون بالعين يشربون منها من قولك (نزلت بالمكان) فهو يدل على القرب والشرب فالتمتع حاصل بلذتي النظر والشراب بخلاف الاول ، جاء في البرهان ان العين ههنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء لا إلى الماء نفسه نحو نزلت بعين فصار كقوله : مكانا يشرب به[4]. وفي قوله (**يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**) مصدر ويروى أن أحدهم إذا أراد أن ينفجر له الماء شقَ ذلك الموضع بعود يجري فيه الماء[5] إلى حيث يشاء أي يقود هؤلاء الأبرار تلك العين حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم ، والتفجير هو تشقيق الارض بجري الماء[6]. وفي قوله تعالى (**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً**)[7] الزنجبيل ضرب من القرفة طيّب الطعم يلذع اللسان يربى بالعسل يستدفع به المضار إذا مزج به الشراب فاق في الإلذاذ والعرب تستطيب الزنجبيل[8] وذكر الفراء أن الزنجبيل هو العين وإنه اسمّ لها[9] (وقيل : الكافور والزنجبيل من أسماء العين التي يسقون منها) (وقيل : إن هذا الشراب في برد الكافور وذكاء المسك ولذع الزنجبيل)[10] (أي كالزنجبيل في لذعه وكانوا يستطيبون ذلك فخوطبوا على ما يعرفون)[11] . أما السلسبيل في قوله عزّ وجلَ (**تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً**) فقد ذكروا أن السلسبيل اسم عين في الجنَة[12] وقال الفراء : (ونرى أنهُ لو كان اسما للعين لكان ترك الاجراء فيه أكثر ولم نر أحداً من القراء ترك إجراءها وهو جائز في العربية)[13] وقيل : اسم للعين معرفة إلا أنه نون لأنه رأس آية)[14] ، والسلسبيل الشراب السهل اللذيذ السلس حديد الجرية ، وذكر بعضهم أن ذلك مركب من قولهم : سلَ سبيلا نحو الحوقلة والبسملة ونحوهما من الألفاظ المركبة ، وقيل هو اسم لكل عين سريع الجرية[15] ، قال ابن الاعرابي لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن[16] وقيل هو صفة لما كان في غاية السلاسة يعني أنها سلسلة تتسلسل في الحلق وقيل سمي سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث[17] ومن قال هو أسم العين صرف ما لا يجب أن ينصرف[18] .

٥- بيوت أهل الجنَّة وفرشها :

أخبرنا القرآن الكريم أن الجنَة ليست مجرد روضة أو بستان ، بل يوجد فيها قصور ومساكن وغرف وخيام يعيش فيها المؤمنون[19] ، ففي سورة الرحمن وردت كلمة (خيام) في قوله تعالى (**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**)[20] ولم ترد هذه الكلمة إلا في هذه السورة فقط[21] و (الخيام جمع خيمة وهي بيت من الثياب على الأعمدة والأوتاد مما يتخذ للإصحار ، فإذا أصحر هؤلاء الحور كانت لهن الخيام في تلك الحال وغيرها مما ينفي الابتذال ويقال للهوادج الخيام ، وقيل : الخيام در مجوف على هيئة البيت ، وقال ابن عباس : بيوت اللؤلؤ ، وقيل الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب[22] ، وقد وصف الرسول (ص) خيام الجنة بقوله : (إنَ للمؤمن في

---

[1]) انظر : اعراب القرآن الكريم وبيانه محي الدين الدرويش مج ٨ ص١٦٣ .
[2]) انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢١٥ ، إعراب القرآن لابن النحاس مج ٥ ص٦٣-٦٤ ، تفسير التبيان مج ١٠ ص٢٠٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٥١٧-٥١٨ .
[3]) انظر مغنى اللبيب لابن هشام ١/ ٩٤ .
[4]) انظر البرهان ٣/٣٣٨-٣٣٩ ، التعبير القرآني لفاضل السامرائي ص١٨٩-١٩٠ .
[5]) إعراب القرآن لابن النحاس مج ٥ ص٦٣-٦٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٥١٨ .
[6]) تفسير التبيان مج١٠ ص٢٠٨-٢٠٩ ، الكشاف ج٤ ص١٩٦ ، مجمع البيان ج٩ ص٥١٨ .
[7]) آية ١٧، ١٨ .
[8]) تفسير التبيان مج ١٠ ص٢١٤.
[9]) انظر معاني القرآن ج٣ ص٢١٧-٢١٨ .
[10]) تفسير التبيان مج ١٠ ص٢١٤-٢١٥ .
[11]) إعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٦ .
[12]) انظر معاني القرآن للفراء ج ٣ ص٢١٧ ، اعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٦ ، المفردات ص٢٣٧ .
[13]) معاني القرآن ج٣ ص٢١٧ .
[14]) تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٥ .
[15]) انظر المفردات ص٢٣٧ ، الكشاف ج٤ ص١٩٨ .
[16]) انظر مجمع البيان ج٩ ص٥٢٣ .
[17]) انظر : الكشاف ج٤ ص١٩٨-١٩٩ ، مجمع البيان ج٩ ص٥٢٣ .
[18]) انظر إعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٦ .
[19]) انظر التوبة آية ٧٢ ، العنكبوت آية ٥٨ ، سبأ آية ٣٧ ، الزمر آية ٢٠ .
[20]) آية ٧٢ .
[21]) انظر معجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (خيام) ص٢٥٢ .
[22]) انظر تفسير التبيان مج٩ ص٤٨٣ ، الكشاف ج٤ ص٤٩ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٧ .

الجنة لخيمةٌ من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضا)[1] ، ومعنى مقصورات : أي محبوسات مستورات وقيل مخدرات في خيامهن[2] ، فالخيام تلقي ظل البداوة فهو نعيم بدوي أو يمثل مطالب أهل البداوة[3] ، أما فرش هذه المساكن فقد وصفها جلَ وعلا بقوله (**مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ**)[4] ففرشهم بطانتها من الإستبرق (وهو ما غلظ من الديباج) وقيل هو (الحرير الصيني)[5] وظاهرها من السندس[6] (وهو الديباج الرقيق)[7] فقد نبّه سبحانه (على شرف الظهارة بشرف البطانة فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى ..)[8] ،هذه فرش أصحاب الجنتين الأوليين أمَا فرش أصحاب الجنتين الأخريين فقد وصفها سبحانه بقوله : (**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**)[9] ففي رحاب تلك الجنان يجلس أصحاب اليمين متكئين في مواضع الجلوس المعدّة لهم على رفرف خضر ، قيل هي (رياض الجنة وقال بعضهم : هي المخاد أي (الوسائد) أو البسط و المجالس أو فضول المجالس للفرش وغير ذلك ورفرف لفظة لفظ واحد وقد نعت بجمع لأنه اسم للجمع والرفارف جمع رفرف ، وخضر جمع أخضر ، أما (**وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**) فهي الطنافس الثخان أو الزرابيَ وقيل البسط وقيل عبقر اسم بلد تنسج به ضروب من الوشيَ الحسن وكأنها من صنع عبقر[10] وكلَ ثوب موشى فهو عبقريَ وهو جمع ولذلك وصف بـ (حسان) وهو اسم جنس واحدته عبقرية[11] وقيل العبقريَ منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب[12] ومن قرأ (عباقريَ) فقد غلط لأنه لا يكون بعد الف الجمع أربعة أحرف ولا ثلاثة صحاح أي إلا أن يكون الثاني حرف لين نحو (قناديل)[13] وفي سورة الواقعة يصف سبحانه الأسرَة التي يجلسون وينامون عليها بقوله (**عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ**)[14] فهي موضونة أي (منسوجة وإنَما سمَت العرب وضين الناقة وضينا لأنه منسوج .. قال الفراء : الوضين : الحزام[15] ، وهي مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت وقد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع ، وضين على وزن فعيل بمعنى مفعول لأنه مضفور وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللاليء وأصحاب الجنة استقرَوا على الأسرة متقابلين لا ينظر بعضهم في قفا الأخر ، بل ينظر إلى وجهه وذلك من حسن العشرة وتهذيب الأخلاق[16] ثم عاد سبحانه إلى وصف فرشهم في هذه السورة بقوله (**وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ**)[17] قال الفراء (بعضها فوق بعض)[18] (أي عالية ومنه بناء رفيع)[19] أي مرفوع أي عالٍ ، نضدت هذه الفرش حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة[20] وقيل معناه ونساء مرتفعات القدر في عقولهم وحسنهن وكمالهن فالفرش هنا كناية عن المرأة[21] ، قال تعالى (**هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ**)[22] ويدل على ذلك قوله تعالى (**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً**)[23] في سورة الإنسان ذكر الأرائك في قوله (**مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً**)[24] والأرائك هي : (الحجال فيها الأسرة واحدها أريكة وهي الحجلة سرير عليه شبه القبة أو هي حجلة على سرير ، وقيل هي كلَ ما يتكأ عليه ، وقيل هي الفرش فوق الأسرة[25] قال الراغب (وتسميتها بذلك إمَا لكونها في الأرض متخذة من أراكٍ وهو شجرة أو لكونها مكانا للإقامة من قولهم : أرك بالمكان أو أروكا وأصل الاروك الاقامة على رعي الأراك ثم تجوزوا في غيره من الاقامات[26] .

٦- ملابس أهل الجنَة :-

---

[1]) مسند الامام احمد بن حنبل مج٦ ص٦٠٧ ، ٦٣٥ ، ٦٥٥ الحديث رقم ١٩٨٠٥ والحديث ١٩٩١٩ ، ١٩٩٩٩ ورياض الصالحين ص ٥١٩ ، الحديث رقم ١٨٨٣ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٣٠٠-٣٠١ .

[2]) انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٢٠ ، إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٢ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٨٣ .

[3]) انظر في ظلال القرآن مج٧ ص٦٨٩ .

[4]) الرحمن آية ٥٤ .

[5]) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص١١٨ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٧٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٩٨ ، البرهان ج٢ ص٢٠ .

[6]) لم يورد الأصفهاني في المفردات لفظتي (الإستبرق والسندس) وهما من الألفاظ المعربة (انظر المعرب للجواليقي)ص٦٣ ، ٢٢٥ .

[7]) انظر تفسير التبيان مج٩ ص٤٧٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ ، الكشاف ج٤ ص٤٩ .

[8]) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٩٨ ومثله في البرهان ج٢ ص٢٠ .

[9]) الرحمن آية ٧٦ .

[10]) انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٢٠ ، إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٣ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٨٣-٤٨٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٩ تفسير القرآن لابن كثير ج٤ ص٣٠١

[11]) انظر : إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٣ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٧-٢٦٩ .

[12]) الكشاف ج٤ ص٤٩ .

[13]) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٢٠ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٨٤ .

[14]) آية ١٥ ، ١٦ .

[15]) معاني القرآن ج٣ ص١٢٢ ، المفردات للراغب ص٥٢٦ .

[16]) انظر تفسير التبيان ج٩ ص٤٨٩ ، الكشاف ج٤ ص٥٣ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧١ ، ص٢٧٣ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٠٦ ، في ظلال القرآن مج٧ ص٦٩٦ .

[17]) آية ٣٤ .

[18]) معاني القرآن ج٣ ص١٢٥ .

[19]) إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢٢١ .

[20]) انظر تفسير التبيان ج٩ ص٤٩٥ ، الكشاف ج٤ ص٥٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٨ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣١١-٣١٢ .

[21]) انظر تفسير التبيان ج٩ ص٤٩٥ ، الكشاف ج٤ ص٥٤ ، في ظلال القرآن مج٧ ص٦٩٦.

[22]) يس آية ٥٦ .

[23]) الواقعة آية ٣٥ .

[24]) آية ١٣ .

[25]) انظر تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٣ ، المفردات ص١٦ ، مجمع البيان ج٩ ص٥٢٢ ، الميزان ج٢٠ ص١٤١

[26]) المفردات ص١٦ .

قال تعالى في سورة الإنسان (**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً**)[1] أي جزاهم بما صبروا عن المعاصي .. يقال لمن صبر عن المعاصي صابرا مطلقا فإن كان لغير المعاصي قيل صابرا على كذا[2] ، أي كافأهم الله وأثابهم على صبرهم على محن الدنيا وشدائدها (جنَة) يسكنونها وحريرا من لباس الجنة يلبسونه ويفرشونه[3] وقال الزمخشري (وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هنيَ وحرير فيه ملبس بهيَ)[4] .ثم قال سبحانه (**عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ**)[5] قال ابن النحاس (وفي معناه قولان أحدهما أنَ الخضرة تعلو ثياب أهل الجنَة والقول الآخر أن هذه الثياب الخضر فوق حجالهم لا عليهم ..)[6] ، من جعل عاليهم طرفا فهو بمنزلة قولك : فوقهم ثياب سندس ، ومن جعله حالا فهو بمنزلة قولك : يعلوهم ثياب سندس وهو ما رقَ من الثياب فيلبسونها[7] وهو من الحرير ويكون أخضر وغير أخضر[8] أما الإستبرق فهو ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر[9] ، ولا يراد به الغلظ في السلك إنما يراد به الثخانة في النسج قال ابن عباس (ض) : أما رأيت الرجل عليه ثياب والذي يعلوها أفضلها[10] والإستبرق والسندس كلاهما من الالفاظ المعرَبة[11] ، (ومن الناس من ترك صرف (إستبرق) وهو غلط لأن الأعجمي إذا عرَب في حال تنكيره انصرف ودليله الإستبرق ..)[12] ثم ذكر سبحانه ما يرافق الملابس من الزينة بقوله (**وحلّوا أساور من فضة**) فالتحلية الزينة بما كان من الذهب والفضة والتحلية تكون للإنسان وغير الإنسان كحلية السيف وحلية المركب والفضة الشفافة هي التي يرى ما وراءها كما يرى من البلورة وهي أفضل من الدّر والياقوت ... والفضة وإن كانت دنية في الدنيا ، فهي في غاية الحسن خاصة إذا كانت بالصفة التي ذكرت والغرض في الآخرة ما يكثر الالتذاذ والسرور به لا بأكثر الثمن لأنه ليست هناك أثمان . وقيل إنهم يحلَون بالذهب تارة وبالفضة أخرى ليجمعوا محاسن الحلية كما قال تعالى (**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**)[13]،[14] فهم يسوَرون بالجنسين إما على المعاقبة وإما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحليَ وتجمع بينها وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة[15] . وقال ابن النحاس (وقد طعن في هذا بعض الملحدين ، إما لجهله باللغة وإما لقصده الكفر اجتراءً على الله عز وجل وأخذ شيء من حطام الدنيا وذلك أن الجنة لا بيع فيها ولا شراء ولا معنى لطعنه لقلة قيمة الفضة ولأن هذا لا يحسن للرجال فجهل معنى التفسير لأن في التفسير أن هذا يكون لأزواجهم ، ولو كان لهم ما دفع حسنه ، وقد طعن في الإستبرق ولم يدر معناه أو دراه وتعمّد الكفر ، والاستبرق عند العرب ما كان متينا وغلظ في نفسه لا غلظ خيوطه)[16] .

أما ابن كثير فيرى أن أساور الفضة للأبرار وأساور الذهب للمقربين[17] وقد أوضحنا سابقا أن الأبرار هم المقرَبون وهم عباد الله الصالحون[18] والأساور جمع مفرده سوار وهو معروف وقال الراغب هو معرب دستواره[19] فهذه هي زينة الظاهر بالحرير والحلي وهي من مظاهر النعمة والترف .

٧- طعام أهل الجنَة وشرابهم :

في الجنَة ألوان الطعام والشراب فهي زاخرة بما يشتهي السعداء الخالدون من الفاكهة الطريّة ولحوم الطير الشهيّة ، وأنواع الشراب اللذيذ ليس كشراب الدنيا . في قوله تعالى (**وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ**)[20] إن (أهل التفسير منهم من يقول : يخلق الله جلّ وعزّ لهم لحما على ما يشتهون من شواء أو طبيخ من جنس الطير ، ومنهم من يقول : بل هو لحم طير على الحقيقة وبهذا جاء الحديث عن عبد الله بن مسعود عن النبي (ص) قال : ما هو إلا أن تشتهي الطائر في الجنة وهو يطير فيقع بين يديك مشويا)[21] وقيل برجع هذا الطائر بإذن الله تعالى حيا كما كان في الجنة

---

[1]) آية ١٢ .
[2]) إعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٥ .
[3]) انظر : تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٣ ، مجمع البيان ج٩ ص٥٢٢ .
[4]) الكشاف ج٤ ص١٩٧ .
[5]) الانسان آية ٢١ .
[6]) إعراب القرآن مج٥ ص٦٧ .
[7]) انظر : تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٧ ، مجمع البيان ج٩ ص٥٢٣ ، الميزان ج٢٠ ص١٤٣ .
[8]) انظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش مج٨ ص١٦٨ .
[9]) مر ذكرهما سابقا في فرش أهل الجنة .
[10]) انظر : مجمع البيان ج٩ ص٥٢٤ .
[11]) انظر المعرَب للجوالبقي (ت ، ٥٤٠ هـ) ص٦٣ . ص٢٢٥ ، البرهان ج١ ص٢٨٨ .
[12]) تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٧-٢١٨ .
[13]) انظر تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٨ ، مجمع البيان ج٩ ص٥٢٣ .
[14]) الكهف آية ٣١ .
[15]) الكشاف ج٤ ص١٩٩-٢٠٠ .
[16]) إعراب القرآن مج٥ ص٦٨ .
[17]) انظر تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤٨٧ .
[18]) ذكر سابقا في صفات أهل الجنة .
[19]) انظر : المفردات ص٢٤٧ ، الميزان ج٢٠ ص١٤٣ ، ولم يذكره الجواليقي في المعرَب .
[20]) الواقعة آية ٢١ .
[21]) إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٨ ، مجمع النبيان ج٩ ص٢٧٥ .

وروي عن رسول الله (ص) (إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ثم يخرج من أجسادهم ريح كريح المسك وهكذا إلى أبد الآباد)[1]. أما الفاكهة اللذيذة فقد أشرنا إليها سابقا فلهم منها ما يتخيّرون ولهم من أنواع الشراب ما لذّ وطاب قال تعالى (**بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ**)[2] الأكواب مفردها (الكوب مالا أذن له ولا عروة والأباريق : ذوات الآذان والعرا)[3، 4] (وقد اجتزئ بالجمع القليل (أكواب) عن الكثير وأباريق لم ينصرف لأنه جمع لانظير له في الواحد وكأس واحد يؤدّي عن الجمع)[5] والكأس الإناء بما فيه من الشراب ولا يسمّى كأساً إلا اذا كان مملوءاً[6] ، (وروي عن ابن عباس (و **كَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**) قال : الخمر ... كلّ كأس في القرآن فهي الخمر ..(من معين) من خمر ترى بالعيون)[7] أي الخمر المعين وهو الظاهر للبصر الجاري[8] والكأس حيثما وجد في القرآن كان مفرداً[9] ولم يجمع وفي قوله (**بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ**) ولم يقل كؤوس لأن الكأس مثلما ذكرنا إناء فيه شراب فإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس بل قدح والقدح إذا جعل فيه الشراب فالاعتبار للشراب لا لإنائه لأن المقصود هو المشروب ، والظرف اتخذ للآله ولولا الشراب والحاجة إلى شربه لما اتخذا والقدح مصنوع والشراب جنس ، فلو قال : (كؤوس) لكان اعتبر حال القدح والقدح تبع ، ولما لم يجمع اعتبر حال الشراب وهو أصل وعتبار الأصل أولى فسبحان الله كيف اختار الأحسن من الألفاظ ... مما يدل على ذلك أن الله تعالى لما ذكر الكأس واعتبر الاصل قال (و **كَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**) فذكر الشراب ، وحيث ذكر المصنوع ولم يكن في اللفظ دلاله على الشراب جمع فقال (**بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ**...)[10] وقوله (**لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا**) عن الخمر (**وَلَا يُنزِفُونَ**) أي لا تذهب عقولهم فنفى عن الخمر ما يلحق من آفاتها من السكر والصداع[11] كما هو الحال في خمر الدنيا . أما قوله تعالى في سورة الإنسان (**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**)[12] تفيد هذه الآية أنَ شراب الأبرار في الجنّة ممزوج بالكافور لطيب ريحه وبرودته ، يشربونه من كأس تغترف من عين تفجّر لهم تفجيرا ، وقد كان العرب يمزجون كؤوس الخمر بالكافور حينا وبالزنجبيل حينا آخر زيادة في التلذّذ، فجاء وصف القرآن لشراب الأبرار بما هو معروف عندهم لكنّه كان شرابا طهورا ممزوجا بالكافور على وفرة وسعة ، فأمّا مستوى هذا الشراب فهو أطهر وأحلى من شراب الدنيا[13] (والملاحظ أن أول ما ذكر من نعم الجنان في هذه السورة هو الشراب الطهور المعطر الخاص لكونه يزيل كلّ الهموم والحسرات والقلق والأدران عند تناوله بعد الفراغ من حساب المحشر وهو اول ما يقدّم لأهل الجنان ثم ينتهون الى السرور المطلق بالاستفادة من سائر مواهب الجنان) [14]. وقال تعالى (**وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً**)[15] هؤلاء الأبرار في الجنة يطاف عليهم بأشربة بآنية من فضة وأكواب وتلك الأكواب (**كَانَتْ قَوَارِيرَا**) أي كانت كصفاء القوارير وبياض الفضة أي اجتمع فيها صفاء القوارير وبياض الفضة[16] والقارورة إناء صافٍ توضع فيه الأشربة قبل ويكون من الزجاج[17] ، أي أن الأكواب من فضة في صفاء القوارير لا تمنع الرؤية وقيل ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج ، فيرى من خارجها ما في داخلها ، وقيل إنّ قوارير كلّ أرض من تربتها وأرض الجنة فضّة ، فلذلك كانت قواريرها مثل الفضّة[18] او مخلوقة من الفضّة و (قوارير قوارير) قُرئا غير منونين وبتنوين الأول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الأول[19] و(إنّ الكسائيّ والفراء أجازا صرف ما لا ينصرف إلا أفعل منك ...)[20] وجعل الفارسيّ قوله (قوارير قواريرا من فضّة) من التشبيه بغير حرف والذي يقصد به المبالغة تنزيلا للثاني منزلة الأول تجوزا فهو يرى كأنها في بياضها من فضة فهو على التشبيه لاعلى أن القوارير من فضة بدليل قوله تعالى (**بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ بَيْضَاء**)[21] فقوله بيضاء مثل قوله (من فضة) وجعلها في موضع[22] آخر من الاستعارة ، يعني تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضّة بل في صفاء القارورة وبياض الفضّة .

---

[1] مسند الامام احمد ابن حنبل مج٥ ص١٨٧ الحديث (رقم ١٤٩٨٤) ، دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار ص٨٣ .
[2] الواقعة آية ١٨، ١٩ .
[3] معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٢٣ ، ومثله في تفسير التبيان مج٩ ص٤٩١ والكشاف ج٤ ص٥٣-٥٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٥ .
[4] الاربابريق مفردها إبريق (معرّب) ذكره الجواليقي في المعرّب ص٧١ ولم يذكره صاحب المفردات .
[5] إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٨ .
[6] معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢١٧ المفردات ص٤٤٣ ، البرهان ج٤ ص٢٠ .
[7] إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٨ ، الكشاف ج٤ ص١٩٥ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه مج٨ ص١٦٢- ١٦٣ .
[8] انظر تفسير التبيان مج٩ ص٤٩١ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٥ ، الميزان ج١٩ ص١٢٧ .
[9] انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص٥٨٨ .
[10] انظر البرهان ج٤ ص٢٠ .
[11] انظر إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٨ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٩١ ، الكشاف ج٤ ص٥٣-٥٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٥ ، تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٠٧ .
[12] آية ٥
[13] انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢١٥ ، إعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٣ ، تفسير التبيان مج١٠ ص٢٠٨ ، الكشاف ج٤ ص١٩٥ ، مجمع البيان ج٩ ص٥١٧ ، في ظلال القرآن مج٨ ص٣٩٦-٣٩٨ ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١٤ ص ٦٢٢ .
[14] الامثل ج ١٤ ص ٦٢٣
[15] الانسان آية ١٥، ١٦ .
[16] انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢١٧ .
[17] انظر المفردات ص٣٩٨ ، إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش مج٨ ص١٦٧ .
[18] انظر تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٥٢٢ .
[19] انظر : الكشاف ج٤ ص١٩٨ .
[20] إعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٦ وانظر تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٢ وانظر البرهان ج١ ص٦٦ .
[21] الصافات آية ٤٥، ٤٦ .
[22] انظر البرهان ج٣ ص٤١٨ .

وقوله عزَ وجلَ (قدّروها) أي قدّروا الكأس على ريَ أحدهم لافضل فيه ولا عجز عن ريّه وهو ألذ الشراب[١] أي إنها على قدر ما يشتهون من غير زيادة ولا نقصان حتى تستوفي الكمال[٢] ثم أطنب سبحانه في وصف الشراب بقوله (**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً**)[٣] ذكرنا سابقا (لا يقال للقدح : كأس حتى تكون فيه الخمر وكذا لا يقال مائدة للخوان حتى يكون عليه طعام وكذا الظعينة وقوله (**كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً**) أي كالزنجبيل في لذعه وكانوا يستطيبون ذلك فخوطبوا على ما يعرفون)[٤] وقيل إن هذا الشراب في برد الكافور وذكاء المسك ولذع الزنجبيل[٥، ٦] وقد اردف سبحانه ذلك بقوله (**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**)[٧] طهور : أي ليس بنجس كما كان في الدنيا ، فهو طاهر من الأقذار والأدناس والأوساخ ، أي هم يسقون شرابا طاهرا ليس كالذي يخالطه الأنجاس من أنهار الدنيا ، وقيل شرابا طهورا لا ينقلب إلى البول بل يفيض من أعراضهم كرشح المسك[٨] [٩].

٨- نساء أهل الجنّة (الحور العين) :-

جاءت أوصاف القرآن الكريم لنساء الجنّة في غاية الروعة والجمال وقد احتلّ وصف الحوريات مكاناً كبيرا في الحديث عن جنة النعيم ، ففي جّنتي المقرّبين يصفهن جلّ جلاله بأنهن (**قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ**) في قوله (**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**)[١٠] أي إنهن قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى ما لا يجوز[١١] وقد وصفهن بقوله (**لم يطمثهن**) أي لم يفتضّهنّ ويطأهنّ (**إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**) فهنّ أبكار لأنهن خلقنّ في الجنة أو من نساء الدنيا بعد أن أنشئن خلقا جديدا[١٢] ، وإنهن كالياقوت في الحسن والنور والصفاء وكالمرجان في البياض والمرجان أشد اللؤلؤ بياضا وهو صغاره[١٣] قال تعالى (**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**)[١٤] قيل : ان الحوراء تلبس سبعين حلّة فيُرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء[١٥].

في الجنتين الأخريين يصفهن بقوله (**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**)[١٦] فهن خيرات الأخلاق حسان الوجوه وقيل أصل (خيرات) (خيّرات) ثم خفف[١٧] ، كما وصفهن (بالحور) في قوله تعالى (**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**)[١٨] والحور (جمع أحور وحوراء والحور قيل ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد) [١٩] ، (والعين الحوراء اذا كانت شديدة بياض البياض وشديدة سواد السواد وبذلك يتم حسن العين)[٢٠] فهن بيض حسان وقوله (**مقْصُورَاتٌ**) أي مصونات مخدرات قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم[٢١] ،هنا استعمل المفردة بصيغة اسم المفعول وفي الآية السابقة (قاصرات) بصيغة اسم الفاعل وقد كرر سبحانه وصفهن (**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**)[٢٢] لبيان أن صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف مع تمكين التشويق بهذه الحال الجليلة وهي الصون والعفاف التي ترغب فيها كلّ نفس سليمة ، ثم عاد وصفهن بالحور العين في سورة الواقعة بقوله : (**وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**)[٢٣] أي مثل هؤلاء الحور في البياض والنقاء مثل اللؤلؤ (المكنون) أي الدر المصون عما يلحق به من دنس المخزون في الصدف لم تمسّه الأيدي ، والعين : العظيمات الأعين[٢٤] ، وفي هذا كناية عن معانٍ حسية ونفسية لطيفة في هؤلاء الحور الواسعات العيون[٢٥] وفي قوله (**وَحُورٌ**

---

[١]) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢١٧ . إعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٦ .
[٢]) انظر تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٤، مجمع البيان ج٩ ص٥٢٢ ، اعراب القرآن وبيانه مج٨ ص١٧٠ .
[٣]) الانسان آية ١٧ .
[٤]) إعراب القرآن لابن النحاس مج ٥ ص٦٦ .
[٥]) انظر تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٤-٢١٥ ، مجمع البيان ج٩ ص٥٢١-٥٢٢ .
[٦]) مر ذكر الزنجبيل كأسم لعين في الجنة وذكرها الفراء في معاني القرآن ج٣ ص٢١٧ ، والزمخشري في الكشاف ج٤ ص١٩٨ .
[٧]) الانسان آية ٢١ .
[٨]) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢١٩ ، إعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٨ ، تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٨-٢١٩ ، مجمع البيان ج٩ ص٥٢٤ ، الكشاف ج٤ ص٢٠٠ .
[٩]) ذكر ذلك الرسول (ص) في حديثه (اول زمرة يدخلون الجنة :) انظر مسند الامام احمد بن حنبل مج٣ ص ٢٣٢ الحديث رقم ٨١٨٣ و كذلك الحديث رقم ١٤٩٨٤) مج ٥ ص١٨٧ ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ص٥١٨ ، الحديث رقم ١٨٨٠ .
[١٠]) الرحمن آية ٥٦ .
[١١]) انظر تفسير التبيان مج٩ ص٤٧٩ ، المفردات ص٤٠٥ ، الكشاف ج٤ ص٤٩ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ .
[١٢]) انظر : معاني الفراء ج٣ ص١١٩ ، تفسير التبيان ج٩ ص٤٧٩ ، الكشاف ج٤ ص٤٩ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ .
[١٣]) انظر تفسير التبيان مج٩ ص٤٨٠ ، المفردات ص٤٦٥ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٤ .
[١٤]) الرحمن آية ٥٨ .
[١٥]) الكشاف ج٤ ص٤٩ .
[١٦]) الرحمن آية ٧٠ .
[١٧]) انظر تفسير التبيان ج٩ ص٤٨٢ ، الكشاف ج٤ ص٤٩ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٦٨ .
[١٨]) الرحمن آية ٧٢ .
[١٩]) المفردات ص١٣٥ .
[٢٠]) تفسير التبيان مج٩ ص٤٨٣ .
[٢١]) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٢٠ ، إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٣ .
[٢٢]) الرحمن آية ٧٤ .
[٢٣]) آية ٢٢ ، ٢٣ .
[٢٤]) انظر إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢٢٠ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٩١-٤٩٢ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٥ .
[٢٥]) انظر في ظلال القرآن مج٧ ص٦٩٦ .

عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) من التشبيه وقد ذكره الزركشي قائلا (وتشبيه الحرف ضربان : أحدهما : يدخل عليه حرف التشبيه فقط .. كقوله (**وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**) وثانيهما : أن يضاف إلى حرف التشبيه حرف مؤكد ليكون ذلك على قوة التشبيه وتأكيده كقوله تعالى (**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**)[١، ٢] . وفي قوله (**وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ**)[٣] كناية عن نساء[٤] الجنة بدليل قوله (**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً**)[٥] أي خلقناهن خلقا جديدا وروي عن ابن عباس (رض) يعني النساء الآدميات ، أي جميع نساء الجنة في ريعان الشباب عذارى بعد أن (كن عجائز رمضا في الدنيا)[٦] ثم يصفهن بقوله(**عُرُباً أَتْرَاباً**)[٧] والعرب جمع عروب على وزن (رسول ، ورُسُل) وهي المتحببه إلى زوجها واللعوب معه أنساً به[٨] وقوله (أترابا) أي متساويات في السن وقيل امثال أزواجهن في السن[٩] قال الفراء (انشأنا الصبية والعجوز فجعلناهن أترابا أبناء ثلاث وثلاثين)[١٠] أما سورة الإنسان فهي خالية من ذكر نساء الجنة جاء في الميزان (واعلم أنه تعالى لم يذكر فيما يذكر من نعيم الجنة في هذه الآيات نساء الجنة من الحور العين وهي من أهم ما يذكره عند وصف نعم الجنة في سائر كلامه ويمكن أن يستظهر منه أنه كانت بين هؤلاء الأبرار الذين نزلت فيهم الآيات من هي من النساء . وقال في روح المعاني : ومن اللطائف على القول بنزول السورة فيهم يعني في أهل البيت (ع) أنه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين وإنما صرح بولدان مخلدين رعاية لحرمة البتول (ع) وقرة عين الرسول ...)[١١] .

٩- ولدان الجنّة :

يتابع القرآن وصف نعيم وملذّات أهل الجنّة وذلك باخبارنا عن وجود عدد من الخدّام المميّزين الذين يقومون بخدمة أصحاب الجنة قال تعالى (في سورة الواقعة **(يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ)**[١٢] الولدان جمع وليد ومخلّدون قيل معناه باقون لهم لا يموتون وقيل إنهم على حالة واحدة لا يهرمون وقال الفراء : معناه مقرطون والخلد : القرط ويقال مسوّرون[١٣] ، وقد اختلف في هؤلاء الولدان فقيل : إنّهم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا فانزلوا هذه المنزلة وروي عن النبي (ص) أنه سئل عن أطفال المشركين فقال هم خدّام أهل الجنّة وقيل بل هم من خدم الجنة على صورة الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنّة[١٤] وقد ورد ذكرهم ثانية في سورة الانسان بقوله تعالى (**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً**)[١٥] ، يرى أهل التفسير أن المعنى في هذا التشبيه لكثرتهم وحسنهم[١٦] فكأنهم اللؤلؤ المنثور وقيل إنّما شبههم بالمنثور لانتثارهم في الخدمة فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم[١٧] ولم يذكر هؤلاء الوِلدان في سورة الرحمن .

١٠- كلام أهل الجنّة :-

جاء في سورة الواقعة (**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً، إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً**)[١٨] أي لا يسمعون في الجنة (**لَغْواً**) (واللغو ما يلغى قيل : معناه لا يسمعون فيها صخبا ولا ضجرا ولا صياحا فنفى الله عزّ وجلّ عن أهل الجنة كل ما يلحق الناس في الدنيا في نعيمهم من الضجر وفي كل ما يلحق في طعامهم وشرابهم من الآيات وكل ما يلحقهم من العناء والتعب في المأكول والمشرب في هذه السورة)[١٩] أي لا يسمعون ما لا فائدة فيه من الكلام لأن كل ما يتكلمون به فيه فائدة (**وَلَا تَأْثِيماً**) أي لا يقول بعضهم لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه أثم وقيل معناه لا يتخالفون على شرب الخمر كما يتخالفون في الدنيا ولا يأثمون بشربها كما يأثمون في الدنيا (، **إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً**) أي لا يسمعون إلا قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلاما سلاما والمعنى انهم يتقابلون بالسلام على حسن الآداب وكريم الأخلاق اللذين يوجبان التوادد[٢٠] .

---

١) الرحمن آية ٥٨ .
٢) البرهان ج٣ ص٤١٧ .
٣) الواقعة آية ٣٤ .
٤) انظر الكشاف ج٤ ص٥٤ تفسير التبيان مج٩ ص٤٩٥ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٥ .
٥) الواقعة آية ٣٥ ، ٣٦ .
٦) انظر تفسير التبيان مج٩ ص٤٩٥ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٨ .
٧) الواقعة آية ٣٧ .
٨) انظر معاني القران للفراء ج٣ ص١٢٥ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٩٥ ، المفردات ص٣٢٨ ،.
٩) انظر معاني القرآن للاخفش ص٢٩٠ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٩٥ ، المفردات ص٧٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٨ .
١٠) معاني القرآن ج٣ ص١٢٥ .
١١) ج ٢٠ ص١٤٣ .
١٢) آية ١٧ .
١٣) انظر : معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٢٢-١٢٣ ، ص٢١٨ ، اعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٨ ، تفسير التبيان مج٩ ص٤٩١ و مج١٠ ص٢١٥ ، الكشاف ج٤ ص٥٣ .
١٤) انظر الكشاف ج٤ ص٥٣ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٤ .
١٥) آية ١٩ .
١٦) انظر : إعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٦ ، تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٥ ، الميزان ج٢٠ ص١٤٢ .
١٧) انظر مجمع البيان ج٩ ص٥٢٣ .
١٨) الواقعة آية ٢٥ ، ٢٦ .
١٩) إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢٢٠ .
٢٠) انظر : تفسير التبيان مج٩ ص٤٩٢ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٦ .

١١- جزاء أهل الجنّة من الله :-

قال جلّ وعلا في سورة الرحمن (**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**)[١] (أي على جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخره)[٢] وقيل معناه (ليس جزاء من فعل الأعمال الحسنة وأنعم على غيره إلا أن ينعم عليه بالثواب ويحسن إليه)[٣] وقال الراغب : (والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيرا فخيرو وإن شرا فشرٌ يقال جزيته كذا وبكذا ...)[٤] وقيل هل جزاء من قال لا إله ألاّ الله وعمل بما جاء به (ص) إلا الجنّة وروي أنّ رسول الله (ص) لما قرأ هذه الآية قال : هل تدرون ما يقول ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنّ ربّكم يقول هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنّة وقيل معناه هل جزاء من أحسن اليكم بهذه النعم إلاّ أن تحسنوا في شكره وعبادته وروي عن أبي عبد الله (ع) يقول : آية في كتاب الله مسجلة ، سئل ما هي ؟ قال : قوله تعالى (**هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ**....) جرت في الكافر والمؤمن والبرّ والفاجر ومن صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به وليس المكافأة أن تصنع كما صنع ... فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء[٥] (أي أن كلّ من أحسن أحسن إليه وكلّ من أساء أسيء إليه)[٦] وقيل (وصف أهلها بالإحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل (ع) لما سأل عن الإسلام ثم الايمان ثم الإحسان)[٧] وذلك كله جزاء من خاف مقام ربه وعبده كأنه يراه فبلغ بذلك مرتبة الإحسان كما وصفها رسول الله (ص) فنالوا جزاء الإحسان من عطاء الرحمن[٨] وقد جعل الزركشي كلمة ألاحسان الأولى غير الثانية بقوله (فإنهما معرفتان وهما غيران فإنّ الأول هو العمل والثاني الثواب)[٩] إنّ التشابه والاختلاف في التعبير عن الجزاء مرتبط ارتباطا وثيقاً بحالة الإنسان في الدنيا فالله جلّ جلاله اختار ألفاظه اختيارا دقيقا، ففي سورة الواقعة قال تعالى بعد أن ذكر نعم المقرّبين السابقين التي أعدّها لهم في جنتيهم (**جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[١٠] أي نفعل ذلك جزاء أعمالهم وطاعاتهم التي عملوها في دار التكليف الدنيا ، باجتنابهم المعاصي ، فهو مكافأة لهم يتحقق فيها الكمال الذي كان ينقص كلّ المناعم في دار الفناء[١١] . في نهاية السورة قال تعالى (**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**)[١٢] فهو إخبار من الله سبحانه بما يستحقه المكلفون لمن كان منهم سابقا إلى الخيرات وإلى أفعال الطاعات فله روح وريحان وجنّة نعيم ، فالروح بفتح الراء في القبر[١٣] وهو الهوى الذي يلذّ النفس ويزيل عنها الهمّ وقيل : الروح : الراحة والاستراحة وقيل : الفرح وقيل : مغفرة ورحمة لأنها كالحياة للمرحوم ومن قال فروح بضمّ الراء يعني حياة لا موت فيها والريحان : الرزق وقيل الريحان المشموم وكلّ نبات طيّب الرائحة فهو ريحان وأصل ريحان روحان لأنه من الواو إلا انه خفف وأهمل التثقيل للزيادة التي لحقته من الألف والنون[١٤] والمعنى أي إن كان المتوفّى من المقرّبين فجزاؤه راحة من كلّ همّ وعم وألم ورزق من رزق الجنة وجنة نعيم ، فهذه الألفاظ تفطّر رقّة ونداوة وتلقي ظلال الراحة والنعيم الليّن والأنس الكريم[١٥] وفي قوله (**رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ**) تجنيس من النوع الثاني الذي يقرب منه الاقتضاب وهو أن تكون الكلمات يجمعها أصل واحد في اللغة[١٦] وفي قوله (**وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ**)[١٧] (أي فسلام لك أنت من أصحاب اليمين وقد يكون كالدعاء له كقولك فسقيا لك من الرجال)[١٨] (أي يقال له : سلام لك) [١٩]وقيل سلموا من عذاب الله عزّ وجل وسلّمت عليهم الملائكة وقيل : أي لك من أصحاب اليمين سلام أي يسلمون عليك كقوله تعالى . (**إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً**)[٢٠] وقيل (**فَسَلَامٌ لَّكَ**) فمسلّم لك أنك من أصحاب اليمين[٢١] (يمكن أن يكون اللام للاختصاص الملكي ومعنى (سلام لك) إنك تختص بالسلام من أصحاب اليمين ... وقيل لك بمعنى عليك أي يسلّم عليك أصحاب اليمين ..... والالتفات من الغيبة إلى الخطاب للدلالة على أنه يخاطب بهذا الخطاب[٢٢].أما في سورة

---

١) آية ٦٠ .
٢) إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢١٢ .
٣) تفسير التبيان مج٩ ص٤٨٠ .
٤) المفردات ص٩٣ .
٥) انظر مجمع البيان ج٩ ص٢٦٥ .
٦) الكشاف ج٤ ص٤٩ .
٧) تفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٠١ .
٨) انظر في ظلال القرآن مج٧ ص٦٨٨ .
٩) البرهان ج٤ ص٩٤ .
١٠) آية ٢٤ .
١١) انظر تفسير التبيان مج٩ ص٤٩٢ . الكشاف ج٤ ص٥٤ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٦ .
١٢) آية ٨٩ .
١٣) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٣١ ، تفسير النبيان مج ٩ ص٥١٢.
١٤) انظر إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢٣٠-٢٣١ ، تفسير التبيان مج٩ ص٥١٢ ، المفردات ص٢٠٥-٢٠٦ ، الكشاف ج٤ ص٥٩-٦٠ ، مجمع البيان ج٩ ص٢٧٨ .
١٥) انظر : الميزان ج١٩ ص١٤٥ ، في ظلال القرآن مج٧ ص٧٠٩ .
١٦) البرهان ج٣ ص٤٥١ .
١٧) آية ٩٠ ، ٩١ .
١٨) معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٣١ .
١٩) معاني القرآن للأخفش ص٢٩١ .
٢٠) الواقعة أية ٢٦ .
٢١) انظر معاني القرآن للفراء ج٣ ص١٣١ ، إعراب القرآن لابن النحاس مج٤ ص٢٢٥ ، تفسير التبيان مج٩ ص٥١٢ ، الكشاف ج٤ ص٥٩-٦٠ .
٢٢) الميزان ج١٩ ص١٤٥ .

الإنسان في قوله تعالى (**وَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً**)[1] أي كفاهم الله ومنع عنهم أهوال يوم القيامة وشدائده[2] (**وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً**) أي أعطاهم بدل عبوس الفجّار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلب ، وهذا يدلّ على أن اليوم موصوف بعبوس أهله[3] أي فاستقبلهم بالنضرة والسرور فهم ناضرو الوجوه مسرورون[4] وقوله (**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا**...) أي كافأهم وأثابهم على صبرهم على محن الدنيا وشدائدها وتحمّل مشاق التكليف (جنّة) أي بستانا أجنّه الشجر و (حريرا) يلبسونه أي فبدل الله سبحانه ما لقوه من المشقّة والكلفة نعمة وراحة . بعدما ذكر الله سبحانه ألوان النعم التي منّ بها على الأبرار ختمها بقوله (**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً**)[5] فهذا إخبار من الله تعالى إنه يقال للمؤمنين إذا فعل بهم ما تقدّم من أنواع الملذات وفنون الثواب : إنّ هذا كان لكم جزاء على طاعاتكم واجتناب معاصيكم في دار التكليف ، وإن سعيكم في مرضاة الله وقيامكم بما أمركم الله به كان مشكورا أي جوزيتم عليه فكأنه شكر لكم فعلكم ويالها من كلمة طيّبة تطيّب بها نفوسهم[6] .

الخاتمة :-

قال تعالى في سورة الانسان (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً)[7] إنّ ما قاله الله جلّ وعلا في كتابه العزيز من أوصاف الجنة يفوق الخيال ولا يستوعبه العقل . قال الامام علي (ع) (وكلّ شيء في الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكلّ شيء في الآخرة عيانه أعظم من سماعه)[8] . إنّ أوصاف الجنة التي ذكرت في القرآن الكريم تدلّ على عظمة الله وقدرته المتجلية في قوله (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[9] ، فالجنة التي أعدّها الله للمؤمنين هي دار الثواب كما أن النار هي دار العقاب لمن كفر وعصى ربّه . ورد لفظ (الجنّة) في كتب اللغة بثلاث لغات بفتح الجيم وكسرها وضمها والمراد هنا بفتح الجيم وتشديد النون وهي الحديقة والبستان وما فيه من أشجار ولاسيما النخيل والأعناب وإن لم يكونا فيها كانت حديقة لا جنّة ، وجنّة المؤمنين طبقات ومنازل بحسب درجة الإيمان والتقوى فهي سبعة أنواع : الفردوس وعدن وجنّة النعيم ودار الخلد وجنّة المأوى ودار السلام وعليين وقال بعضهم ثمانية ، أما أبوابها فهي ثمانية لكل باب صنف من الداخلين فيها ، فالمؤمنون يصنفون وفق أعمالهم ودرجة تقواهم ، فمنهم المقربون وهؤلاء في الدرجات العليا في الجنة وهم السابقون إلى الخيرات وقد وصفهم الله في سورة الرحمن بالخائفين مقام ربهم ، ومنهم أصحاب اليمين وهم العابدون لله سبحانه خوفا من النار وطمعا في جنته وفي سورة الواقعة وصف للصنفين وفي سورة الإنسان وصفوا بالأبرار وبعباد الله .إن الجنّة وما فيها من أنواع الأشجار الوارفة وبظلالها وبأغصانها المحّملة بأشهى الثمار من كلّ لون ، تجري من تحتها الأنهار والعيون كعين سلسبيل وعين تسنيم ، أعدّت للمتقين فهم يجلسون (عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ)[10] . هذه الأسرّة عليها فرش ظاهرها من سندس وهو ما رقّ من الحرير وبطانتها من استبرق وهو ما غلظ من الديباج ، تظللهم الأغصان المحمّلة بالأثمار الشهية التي تتدّلى إلى أفواههم - دون تعب أو مشقة - إن كانوا قائمين أو قاعدين (وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً) [11] و (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ)[12] فاذا دنت الظلال ودنت القطوف فهي الراحة والاسترواح على أمتع ما يمتد إليه الخيال ، يطوف على خدمتهم ولدان مخلّدون كأنهم اللؤلؤ المنثور يقدّمون لهم ما لذّ وطاب من الشراب والطعام ولكنه ليس كشراب وطعام الدنيا . يزيد الله في نعمه على هؤلاء المتقين بنساء حوريات وقد وصفهن عزّ وجلّ بقوله (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)[13] (وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)[14]و (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً)[15] هذه النعم كلّها جزاء لمن اتقى وخاف ربّه وعمل صالحا فله ثواب الدنيا والآخرة . إن الإنسان الذيّ تتوق نفسه إلى هذا النعيم عليه ترك الدنيا ، فإن ترك الدنيا مهر الآخرة وإنما مثل الدنيا والآخرة كالضّرتين بقدر ما ترضي إحداها تسخط الأخرى ومثل المشرق والمغرب بقدر ما تقرب من أحدهما تبعد من الآخر .

---

[1]) آية ١١ ، ١٢ .
[2]) انظر : إعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٥ ، تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٣ ، المفردات ص٤٩٦ ، الكشاف ج٤ ص١٩٧ .
[3]) الميزان ج٢٠ ص١٤١ .
[4]) اعراب القرآن لابن النحاس مج٥ ص٦٥ ، تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٣ ، الكشاف ج٤ ص١٩٧ .
[5]) آية ٢٢
[6]) انظر تفسير التبيان مج١٠ ص٢١٩ ، الكشاف ج٤ ص٢٠٠ مجمع البيان ج٩ ص٥٢٤ . ، الميزان ج٢٠ ص١٤٣ .
[7]) آية ٢٠
[8]) عدة الداعي ص١٣٤ ونفحات الولاية (شرح نهج البلاغة) لناصر مكارم الشيرازي ٥/ ٦٩ – ٧٠ خطبة ١١٤ .
[9]) يس آية ٨٢ .
[10]) الواقعة آية ١٥ و ١٦ .
[11]) الانسان آية ١٤
[12]) الرحمن آية ٥٤ .
[13]) الرحمن آية ٥٦
[14]) الواقعة آية ٢٢و ٢٣ .
[15]) الواقعة اية ٣٥ ، ٣٦ .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .
٢- إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد ابن النحاس (ت ٣٢٨ هـ) وضع حواشيه وعلّق عليه عبد المنعم خليل ابراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ .
٣- إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين الدرويش ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ، المطبعة سليمان زاده ، منشورات كمال الملك .
٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان ط الاولى ٢٠٠٧ م ، ١٤٢٨ هـ .
٥- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت – لبنان ١٩٨٨ م – ١٤٠٨ هـ .
٦- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي ت (١٢٠٥ هـ) منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ، الطبعة الاولى ، المطبعة الخيرية بجمالية مصر ١٣٠٦ هـ .
٧- التعبير القرآني د. فاضل صالح السامرائي – ساعدت جامعة بغداد على طبعة ، تسلسل التعضيد ١٥ للسنة الدراسية ١٩٨٦ – ١٩٨٧ . جامعة بغداد / بين الحكمة .
٨- تفسير التبيان للطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ) تحقيق وتصحيح الشيخ أحمد خضير العاملي ، مطبعة النعمان ، التجف الأشرف ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
٩- تفسير الجلالين (جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي وهو بهامش نسخه من القرآن الكريم – راجعه الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل ملتزم الطبع والنشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة ١٣٨٠ / ١٩٦١ م .
١٠- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) قدم له يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة بيروت لبنان : الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
١١- التفسير المعين للواعظين والمتعظين – محمد هويدي ، الناشر طليعة النور ، الطبعة الرابعة ١٤٢٦ هـ ، المطبعة أسوة أيران .
١٢- تفصيل آيات القرآن الحكيم وضعه بالفرنسية جول لابوم ويليه المستدرك إدوار مونتيه ، نقلها إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م القاهرة .
١٣- دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار للامام عبد الرحيم بن أحمد القاضي الناشر مكتبة الشرق الجديد بغداد ١٩٨٨ م .
١٤- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للامام ابي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ دار الحديث .
١٥- عُدة الداعي ونجاح الساعي تأليف جمال الدين أحمد بن محمد فهد الحلّي (٧٥٧ – ٨٤١ هـ) تحقيق ونشر مؤسسة المعارف الاسلامية قم ، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ ، ق، المطبعة عترت .
١٦- في ظلال القرآن لسيد قطب مج ٧ و ٨ ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .
١٧- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠- ١٧٥ هـ) تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٢ سلسلة المعاجم (٤٧) .
١٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧-٥٣٨ هـ) ج٤ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأخيرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .
١٩- المثلث لابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) القسم الاول تحقيق ودراسة صلاح مهدي علي الفرطوسي ، دار الرشيد للنشر ١٩٨١ ، الجمهورية العراقية ، وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة كتب التراث (١١١) ، دار الحرية للطباعة بغداد .
٢٠- مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من علماء القرن السادس الهجري) تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلّلاتي ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان – الطبعة الاولى .
٢١- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، دار الرسالة ، الكويت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
٢٢- مسند الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) تحقيق السيد ابو المعاطي النوري واخرون عالم الكتب الطبعة الاولى ، بيروت لبنان ١٩٩٨ م ، ١٤١٩ هـ .
٢٣- معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) ، قدم له ابراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
٢٤- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي ومراجعة علي النجدي ناصف ، دار السرور .
٢٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الجيل ، بيروت .
٢٦- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة قام بإخراجه إبراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، واشرف على طبعه عبد السلام هارون ، المكتبة العلمية ، طهران ، الطبعة الأولى .
٢٧- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي (ت-٥٤٠ هـ) تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
٢٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري المصري (ت ٧٦١ هـ) – تعليق وشرح آياته أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .
٢٩- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
٣٠- من وحي القرآن د. إبراهيم السامرائي ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م . بغداد تنضيد وطباعه وإخراج مؤسسة المطبوعات العربية بيروت – لبنان .
٣١- الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات الأعلمي للمطبوعات – بيروت لبنان ، الطبعة الثانية المحققه ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م .
٣٢- نفحات الولاية (شرح عصري جامع نهج البلاغة) لناصر مكارم الشيرازي – إعداد عبد الرحيم الحمراني ، ط الثانية ، المطبعة سليمان زاده تاريخ النشر ١٤٢٦ هـ . ق ، قم .